بحوث قسم اللغات الشرقية

العنصرية في التعاليم الدينية اليهودية

– دراسة تأصيلية –

د. محمد مدبولي عبدالرازق حسن

أستاذ مساعد بقسم اللغة العبرية وآدابها

كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر.

البريد الإلكتروني: mmadbouly2010@gmail.com

الملخص:

تتناول هذه الدراسة "العنصرية في التعاليم الدينية اليهودية، دراسة تأصيلية"، اعتمدت الدراسة على تأصيل هذه الظاهرة من خلال نصوص العهد القديم، تلك التعاليم الداعية إلى جَعْل اليهودي مقدسًا عند الله، والزعم بأنهم شعب الله المختار، الذين اختصهم الله له، دون غيرهم. وقد تربى اليهود على تلك التعاليم العنصرية الداعية إلى كراهية غيرهم، والمنطلقة من منطلق عقائدي، وقد عمد اليهود على تربية أطفالهم تربية عنصرية إرهابية، مستوحاة من تلك التعاليم الدينية، التي تطفح بها كتبهم المقدسة [المحرفة]؛ فبرزت الفقرات الداعمة لتعالي اليهود على غيرهم، وبالتالي كراهيتهم للأغيار، ثم إباحة ممارسة الإرهاب والعنف تجاه كل ما هو غير يهودي، والزعم بملكيتهم لأراضي غيرهم.

وقد حرصت تلك التعاليم على تربية اليهود تربية عنصرية، قوامها الحذر من غير اليهود، والدعوة إلى القضاء عليهم وإبادتهم، فأخذت تزرع في نفوسهم الروح العدوانية، التي تحلى بها أسلافهم، تلك التعاليم التي تعدّ الإرهاب وكراهية الأغيار عملاً دينيًا مقدسًا. وقد نجحت تلك التعاليم في غرس العنصرية والروح العدوانية وتعميقهما في نفوس اليهود. وتمثلت العنصرية اليهودية في التعاليم الدينية في عدة مظاهر أهمها، الزعم أنهم شعب الله المختار، الذي نتج عنه شعورهم بالاستعلاء، ودونية غيرهم، الأمر الذي تطلب عزلتهم وعدم اندماجهم بغير اليهود، وممارسة أعمال العنف والإرهاب بكل وحشية مع كل الأغيار، لم يسلم منهم الأطفال والنساء والشيوخ، حتى الحجر والشجر.

الكلمات المفتاحية:

العنصرية – اليهودية – التعاليم الدينية – العهد القديم – الشعب المختار – الأغيار.

Racism in the Jewish Religious Teachings
A Theoretical Study

Mohamed Madbouly Abdel Razek Hassan
Department of Hebrew Language, Faculty of Languages and Translation, Al Azhar University.
E-mail: mmadbouly2010@gmail.com

ABSTRACT:

This study entitled "Racism in the Jewish Religious Teachings: A Theoretical Study" aims to carefully examine the phenomenon of *Racism* through the texts of the Old Testaments that represent the Jews as being sacred in the Sight of Allah and Allah's Chose People whom Allah gave precedence over others. The Jews were brought up in light of these racial teachings calling for hating others, maintaining that they are based on the Jewish creed. For the Jews, creed is seen as the cornerstone in the Jews' conflict with others. In this regard, the Jews have intentionally brought up their children on a racial, terrorist basis inspired from their religious teachings with which their [distorted] scared boos are replete. In this way, the texts highlighting Jews' superiority and hatred to others came to the scene, a matter that led consequently to practicing terrorism and violence against all what is not Jewish.

These teachings were keen on bringing up the Jews on the basis of hating the non-Jewish and on calling for their eradication. So, they entrenched the aggressive spirit of their ancestors in today's Jews, to the extent that they view terrorism and hatred of the other a sacred work. In this way, these teachings managed to implant and deepen racism and aggressive spirit in the Jews. This Jewish racism in the religious teachings is clearly manifested in a number of aspects the most important of which is the claim that they are the chosen people of God, which resulted in their superiority over others, a matter that required them to be in isolation, not to integrate with others, to brutally practice violence and terrorism against the other not distinguishing between children, women or elderly, or between stones or trees.

Keywords:

Racism – Judaism – Religious teachings – Old Testament – chosen people – the other.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة وهداية للعالمين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا ، وبعد..

فإن هذه الدراسة تتناول "العنصرية في التعاليم الدينية اليهودية، دراسة تأصيلية"، اعتمدت الدراسة على تأصيل هذه الظاهرة من خلال نصوص العهد القديم، تلك التعاليم الداعية إلى جعل اليهودي مقدسًا عند الله، وأن اليهود شعب الله المختار، الذين قد اختصهم الله له، دون غيرهم. وقد تربى اليهود على تلك التعاليم العنصرية، الداعية إلى كراهية غير اليهود، وكذلك تربى أطفالهم هذه التربية العنصرية، المستوحاة من تلك التعاليم الدينية، المنطوية عليها كتبهم المقدسة [المحرفة]، والمنطلقة من منطلق عقائدي، حيث تمثل هذه العقيدة حجر الزاوية في صراع اليهود مع غيرهم، وقد بالغ فيها كُتَّاب هذه الكتب؛ فبرزت الفقرات الداعمة لتعالي اليهود على غيرهم، وبالتالي كراهيتهم للأغيار، ثم الإرهاب والعنف تجاه كل ما هو غير يهودي.

وقد حرصت تلك التعاليم على تربية الفرد اليهودي تربية خاصة، قوامها الحذر من غير اليهود، والدعوة إلى القضاء عليهم وإبادتهم، فأخذت تزرع في نفوس أبناء اليهود الروح العدوانية، التي تحلى بها أسلافهم، الذين عدّوا الإرهاب وكراهية الأغيار عملاً مقدسًا. هكذا نجحت تلك التعاليم في غرس هذه المفاهيم وتعميق تلك التعاليم العنصرية والروح العدوانية في نفوس اليهود؛ فكانت نظرتهم للأغيار عدوانية.

وتمثلت العنصرية اليهودية في التعاليم الدينية في عدة مظاهر، أهمها، الزعم أنهم شعب الله المختار، الذي نتج عنه، شعورهم بالاستعلاء ودونية غيرهم، الأمر الذي تطلب عزلتهم عن الأغيار، وممارسة أعمال العنف والإرهاب بكل وحشية، مع كل الأغيار، ولم يسلم منهم الأطفال والنساء والشيوخ، حتى الحجر والشجر، وأخيراً الزعم بأحقيتهم لأراضي الأغيار وملكيتهم لها.. والأمثلة عديدة، كما ستوضح الدراسة بعون الله.

فرضيات الدراسة

- الإسهام بدراسة تأصيلية متخصصة حول العنصرية في التعاليم الدينية اليهودية.
- التعرف على مفهوم العنصرية لغة واصطلاحاً.
- التعرف على العنصرية اليهودية وأهم مصادرها(العهد القديم، والتلمود) وأشكالها.
- تركز الدراسة على تأصيل العنصرية اليهودية من خلال نصوص العهد القديم.
- كشف النقاب عن أهم مظاهر العنصرية في التعاليم الدينية اليهودية.
- بيان الاستعلاء اليهودي والزعم بأنهم شعب الله المختار، وأنهم يتميزون عن غيرهم.
- ابراز النصوص الدينية الداعمة لاستعلاء اليهود واستكبارهم على غيرهم وتأصيلها.
- عرض الأسانيد الداعمة لعزلة اليهود وعدم رغبتهم في الاختلاط بغيرهم والاندماج معهم.
- كشف النقاب عن الجذور الدينية للعنف والإرهاب اليهودي ضد الأغيار.
- بيان النزعة العدوانية ضد غير اليهود في أسفار العهد القديم.
- كشف مزاعم اليهود بأحقيتهم لأراضي الأغيار وملكيتهم لها.

المنهج المتبع في الدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهج التكاملي، القائم على المنهج الوصفي الذي يقوم على رصد النصوص التي تؤصل للعنصرية اليهودية في العهد القديم، منها النصوص الداعمة للزعم بأنهم شعب الله المختار، ثم النصوص التي تحض على العنف والقتل والإرهاب ضد غير اليهود، ثم المنهج التاريخي؛ من خلال جمع وترتيب الأحداث المرتبطة بمِوضوع الدراسة عند اليهود في ضوء العهد القديم. ثم أخيراً المنهج النقدي في المواضع التي تحتاج النقد.

الدراسات السابقة

لم يجد الباحث في الدراسات السابقة، دراسة متخصصة تناولت "العنصرية في التعاليم الدينية اليهودية"– دراسة تأصيلية–، إنما يوجد العديد من الكتب التي تناولت العنصرية اليهودية، لعل أهمها:

- كتاب "العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها"، وهو عن رسالة الدكتوراة، للدكتور/ أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغيبي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وتم نشره في مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

الإطار التنظيري للدراسة

تقع الدراسة في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث ثم خاتمة، ثم ثبت بالمصادر والمراجع، كالتالي:

المقدمة، وفيها حدود الدراسة، وأهميتها، وفرضياتها، والمنهج المتبع فيها.

التمهيد: مفهوم العنصرية اليهودية ومصادرها.

المبحث الأول: الاستعلاء اليهودي والزعم أنهم شعب الله المختار.

المبحث الثاني: العزلة وعدم الاندماج مع غير اليهود.

المبحث الثالث: العنف والإرهاب ضد الأغيار.

المبحث الرابع: الزعم بملكية اليهود لأراضي غيرهم.

والخاتمة، وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

ثم ثبت بالمصادر والمراجع العربية والعبرية والأجنبية، مرتبة ترتيباً أبجدياً.

التمهيد

مفهوم العنصرية اليهودية وأهم مصادرها

ويتناول هذا التمهيد التعريف بمفهوم العنصرية لغة واصطلاحاً، ثم التعريف بالعنصرية اليهودية وأهم مصادرها.

أولاً: مفهوم العنصرية لغةً واصطلاحاً:

(أ) العنصرية لغة:

مصطلح "العنصرية" من المصطلحات الحديثة التي لم يرد ذكرها – بهذه الصيغة– في أغلب المعاجم العربية، وإنما ورد مصطلح "العنصر"، و"العُنْصُرُ، بفتح الصاد وضَمّها: الأَصْلُ (...)، قال الأَزهريّ : العُنْصُرَ: أَصْلُ الحَسَب، والعُنْصُر: الداهية، والعُنْصُر الهِمَّة والحاجةُ".(١) وجاء في التعريفات للجرجاني: "العنصر هو الأصل الذي تتألف منه الأجسام المختلفة الطباع، وهو أربعة الأرض والماء والنار والهواء".(٢) وفي المعجم الوسيط: "(العنصر): الأصل، والحسب، يقال: فلان كريم العنصر. والجنس، يقال: فلان من العنصر الآري أو السامي (...) و(العنصرية): تعصب المرء، أو الجماعة للجنس.(٣) وذكر الفراهيدي، وابن فارس، أن: العُنْصُرُ: أَصْلُ الحَسَب".(٤) وعليه، فالعنصر هو أصل الحسب، والعنصرية التعصب للجنس.

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين الأنصاري: لسان العرب، طبعة دار المعارف، القاهرة، (بدون تاريخ)، مادة "عنصر"، ص ٣١٣١ (بتصرف بسيط)؛ وللمزيد ينظر: الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (بدون تاريخ)، جـ١٣، ص١٥٢؛ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ص٤٦٧.

(٢) الجرجاني، علي بن محمد بن علي: التعريفات، تحقيق : إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ، ص: ٢٠٤.

(٣) مصطفى، إبراهيم، وآخرون؛ (أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار): المعجم الوسيط، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (بدون تاريخ)، جـ٢، ص٦٣١.

(٤) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد : كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار الهلال، (بدون تاريخ)، ج٤، ص٢٩٧؛ وللمزيد، ينظر: ابن زكريا، أبو الحسين

(ب) مفهوم العنصرية اصطلاحًا:

لقد "اختلف الباحثون في تعريف العنصريّة اصطلاحًا، بناءً على اختلاف وجهات نظرهم، لاختلاف تخصصاتهم في علوم الحياة المختلفة، وكلها تدور –غالباً– حول المعاني المتداولة لهذا المصطلح: (العنصرية، التفرقة العنصرية، الفصل العنصري، التمييز العنصري). ويمكن تعريف العنصرية تعريفاً جامعًا مانعًا بأنها: عقيدة تستند إلى أسطورة مناقضة للدين الحق والعلم الصحيح، حول (تفوق) أو (نقص) هذه الأجناس أو تلك، محاولة بذلك تبرير السياسة العدوانية، ضد الكائن البشري التي تقوم على الاغتصاب، والإرهاب، والاستعباد".[١] وربما لحداثة هذا المصطلح خلت منه أغلب المعاجم اللغوية القديمة؛ فمصطلح "العنصرية"، هو "مصطلح حديث نسبيًا، فقد انتشر في العالم الغربي في ثلاثينيات القرن الماضي، عندما تم استخدامه لوصف الأيديولوجية الاجتماعية والسياسية للنازية، التي تعاملت مع "العرق" كوحدة سياسية معطاة بشكل طبيعي".[٢] وعرفها البعض بأنها: "مجموعة الأفكار والمعتقدات والقناعات والتصرفات التي ترفع من قيمة مجموعة معينة أو فئة معينة على حساب الآخرين، بناءً على أمور موروثة مرتبطة بقدرات الناس أو طباعهم أو عاداتهم".[٣] وعرف البعض العنصرية في ضوء السمات السلوكية لبعض البشر، بأنها: "الاعتقاد بأن مجموعات من البشر تمتلك سمات سلوكية مختلفة، تتوافق مع السمات الموروثة ويمكن تقسيمها بناءً على تفوق عرق

أحمد ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، الجزء الرابع، ص ٣٧٠.

(١) الزغيبي، أحمد بن عبد الله بن إبراهيم (د): العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، الرياض١٤١٨هـ-١٩٩٨م، الجزء الأول، ص٦٠، (بتصرف بسيط).

(2) Fredrickson, George M. (2002). Racism: A Short History. Princeton, NJ: Princeton University Press. p. 5.

(٣) كاظم، نصير كريم: العنصرية اليهودية: قراءة تحليلية في الأسس الفكرية، مجلة الأطروحة- الدراسات الدينية وعلوم القرآن، دار الأطروحة للنشر العلمي، المجلد الثالث، العدد السادس، تشرين الأول ١٤٣٩هـ- ٢٠٠١٨م، ص ٢٢٦.

على آخر".[١] وعلى ضوء ذلك، عرف البعض العنصرية بأنها: "نوع من الاستعلاء النابع من شعور فئة بأنها عنصر سيد ثم ترجمة هذا الشعور إلى واقع سياسي واجتماعي واقتصادي".[٢] وعرفها آخر بأنها: "تعني أيضًا التحيز أو التمييز أو العداء الموجه ضد أشخاص آخرين لأنهم من عرق مختلف.[٣] وهو ما يوافق تعريف البعض للعنصرية بأنها "اعتقاد بعض الشعوب أنهم أفضل خلق الله، وأنهم مخلوقون لخلاص العالم وإصلاحه، وهذا التعريف يميل إليه معظم علماء اليهود، وأنها: رفض جذري لوجود الآخرين فهي رفض من ناحية واستثناء من ناحية أخرى، وتهدف الى التفوق على الآخرين".[٤] ولهذا وغيره يظن اليهود أنهم شعب الله المختار الذين اختصهم الله له دون غيرهم.

ويذكر البعض أن العنصرية تستند إلى تصورات اجتماعية معينة يترتب عليها اتخاذ اجراءات وممارسات، بناء على هذه السمات والقدرات المفترضة، وليست السمات الحقيقية، فيقول: "تستند الأشكال الحديثة للعنصرية إلى التصورات الاجتماعية للاختلافات البيولوجية بين الشعوب، يمكن أن تتخذ هذه الآراء شكل الإجراءات الاجتماعية أو الممارسات أو المعتقدات، أو النظم السياسية، حيث يتم تصنيف الأجناس المختلفة على أنها متفوقة بطبيعتها، أو أدنى من بعضها البعض، بناءً على السمات والقدرات والصفات المشتركة المفترضة".[٥] يفهم من ذلك، وغيره، أن العنصرية هي: اعتقاد البعض بأنهم أفضل من سواهم، مما يبرر لهم الاستعلاء على الآخرين، واحتقارهم، والتجاوز في حقهم وربما القضاء عليهم.

(1) Dennis, R. M. (2004). "Racism". In Kuper, A.; Kuper, J. (eds.). The Social Science Encyclopedia, Volume 2 (3rd ed.). London; New York: Routledge. ISBN 978-1-134-35969-1.

(٢) عاشور، السيد محمد : التفرقة العنصرية، القاهرة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م، ص ٣.

(3) Ghani, Navid (2008). "Racism". In Schaefer, Richard T. (ed.). Encyclopedia of Race, Ethnicity, and Society. Sage. pp. 1113–1115.

(٤) السيد محمد عاشور: التفرقة العنصرية، ص ٣.

(5) Newman, D. M. (2012). Sociology: exploring the architecture of everyday life (9th ed.). Los Angeles: Sage. p. 405.

وفي اللغة العبرية؛ نجد مصطلح "**גזענות**، ويعني: عنصرية، عرقية (النظرية التي تدعو إلى تقسيم الجنس البشري إلى عناصر متميزة بعضها عن بعض في الرقي)".(١) وذكر "**אבן שושן**"، "إيفن شوشان": أن مصطلح "**גזענות**، من **גזע**، بمعنى: جذع، جنس، عرق، أصل، سلالة، عنصر".(٢) وذكر "إيفن شوشان" أن "شعوب العالم تنقسم إلى أعراق خاصة (عرق الأسياد)، وأعراق أخرى أقل شأنًا، وكانت العنصرية واحدة من المبادئ الرئيسة للنازيين في ألمانيا، وكانت بمثابة الأساس لمعاداة السامية المتوحشة وإبادة اليهود".(٣) ومن المفارقات العجيبة أن يربط "ايفن شوشان" بين العنصرية والنازية، وأن يندد اليهود "بالعنصرية النازية"، مع أن اليهود، "هم أبشع دعاة التفريق العنصري من قديم، وغلاته الأولون".!!(٤) ورغم ذلك فمفهوم العنصرية في العبرية وفقا لإيفن شوشان؛ يرتبط بالنازية، والممارسات الوحشية التي مارستها.. وهو ما يندد به اليهود، رغم انتهاجهم نفس الممارسات وأكثر ضد غيرهم، والفرق بينهما أن اليهود يعطون هذه الممارسات صبغة دينية.

ثانيًا: مفهوم العنصرية اليهودية

أما "العنصرية اليهودية"، فيمكن تعريفها بأنها: "عقيدة تستند إلى فلسفة مناقضة للدين والعلم، حول أفضلية العنصر اليهودي على من عداه من العناصر البشرية الأخرى".(٥) وتجدر الإشارة بدايةً إلى أن العنصرية اليهودية مستوحاة من الدين اليهودي، وتستند إلى النصوص المقدسة في التوراة والتلمود، الأمر الذي جعل الدكتور "حسن ظاظا"

---

(١) שגיב, דוד: מילון עברי– ערבי לשפה העברית בת זמננו, כרך ראשון, מהדורה שלישית, הוצאת שוקן ירושלים ותל–אביב, נדפס בישראל, תשנ״א. ע׳ גְּזָעָנוּת.

(٢) אבן שושן, אברהם: המלון החדש, בשבעה כרכים, הוצאת קרית-ספר, ירושלים, 1983, ע' גְּזָעָנוּת.

(٣) שם, שם.

(٤) سعيد، عبدالستار فتح الله: معركة الوجود بين القرآن والتلمود، دراسة علمية قرآنية: تكشف أسراراً جديدة من إعجاز القرآن العظيم، وتبرز دوره المتفرد في المعركة العالمية بين الإسلام واليهودية!! الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، ص ١٦٢.

(٥) د. أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغيبي، العنصرية اليهودية، ص٦٤.

يقول: "الدين اليهودي هو عصب العنصرية اليهودية. وهو دين يختلف اختلافًا بيّنًا، من حيث طبيعته ونشأته وتاريخه، عن أكثر الأديان التي نعرفها".(١) فالعنصرية اليهودية تستند إلى أبعاد توراتية وتلمودية، فضلاً عن الأسس الفكرية والنفسية والاقتصادية.. وهنا وكما يقول البعض "يجب التفريق بشكل دقيق بين العقيدة التوحيدية، التي نادى بها موسى –عليه السلام–، كما جاءت في القرآن الكريم، وبين اليهودية التحريفية الطارئة على تلك التعاليم المنطوية على العنصرية الصهيونية في أبعادها العقيدية".(٢) لذلك يمكن قبول الرأي القائل إن الحركة الصهيونية ظهرت نتيجة هذه العنصرية اليهودية؛ "نتيجة للعنصرية اليهودية، ظهرت الحركة الصهيونية، في ثوب الفقير المتدين، في أواسط القرن السادس عشر الميلادي، وفي ثوب الباحث عن الملجأ من الاضطهاد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وفي ثوب الطامع في وطن قومي في أوائل القرن العشرين، وفي ثوب الجندي المدجج بالسلاح، الذي يصول ويجول، يزأر ويهدد، في النصف الثاني من هذا القرن".(٣)

وهناك من أرجع تحريف المبادئ والأصول اليهودية إلى أسبابٍ عنصرية؛ "فلقد انحرفت اليهودية عن المنهج الإلهي الحق؛ منذ بَدْءِ تحريف التوراة، على أيدي الكتبة اليهود، إبان السبي البابلي (٥٨٦–٥٣٨ ق.م). ويرجع تحريف اليهودية إلى سبب عنصري، وهو أن اليهود حين رأوا أثناء الأسر في بابل إدبار الدنيا عنهم، بزوال ملكهم، وخشيتهم من إقبالها على بني عمومتهم (العرب) من نسل إسماعيل –عليه السلام–، كما وعدتهم التوراة الأصلية، حيث تحوي أخباراً كثيرة عن العرب، وعلى رأسها البشارة ببعثة

(١) ظاظا، حسن ظاظا (د): الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧١م، ص٥.

(٢) الباش، حسن: العنصرية الصهيونية: الأنا والآخر والأسس العقيدية، مجلة المسار، اتحاد الكتاب التونسيين، العدد ٥٣، أكتوبر ٢٠٠١م، ص ٥٧.

(٣) الحسيني، إسحاق موسى (د): "العنصرية أساس قيام إسرائيل. "مجلة البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – معهد البحوث والدراسات العربية، العدد الثالث، ١٩٧٢م، ص٩ –١٠.

محمد – صلى الله عليه وسلم– لقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾[الأعراف: ١٥٧]، حين رأى اليهود ذلك، تفجرت العنصرية عندهم، ومن هنا رأوا أن يحتفظوا بكيان مستقل إلى الأبد، حيث شكلوا لجنة العلماء، التي ابتدأت تحريف التوراة إبان الأسر البابلي".(١) ونتيجة لهذا التحريف المتعمد، والذي انعكس على التراث الديني اليهودي؛ فقد اصطبغت أكثر أسفار العهد القديم بصبغة عنصرية بغيضة، بدت في أغلب أسفاره، وبين نصوصه، حيث "عبث الكتبة اليهود بالتعاليم الشرعية زيادةً وحذفاً، فنسبت إلى الله – تعالى– ما يتنزه عنه، من تطاول عليه – سبحانه– وعلى ملائكته، وكتبه، ورسله، وسائر عقائد الدين؛ كل ذلك لينحتوا ديناً قومياً، يعتمد على المبادئ العنصرية، التي ترمي في النهاية إلى تمجيد الجنس اليهودي دون سواه من الأجناس البشرية الأخرى، وأحقيته في السيطرة على الأرض".(٢)

بينما "تستهدف تعاليم الدين السماوي صلاح أحوال البشر في الدنيا، وفلاحهم في الآخرة، وذلك بالنظر إلى مصدرها، فالله سبحانه وتعالى هو الخالق وهو الخبير الحكيم بأحوال البشر، وما يصلح أحوالهم، وما يتمشى مع طبائعهم. ولذلك شرع لهم من التعاليم ما يستطيعون القيام به ويحيوا سعداء، فقد هيأ الدين السماوي للناس السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة".(٣) هكذا ينبغي أن تكون تعاليم الدين، التي تهدف إلى صلاح البلاد والعباد، لا تمييز فيها ولا عنصرية مقيتة.

وتتَّسم العنصرية اليهودية – كذلك– بسمةٍ تكاد تخالف بها جميع العنصريَّات، عند جميع الشعوب في مختلف الأزمان العصور، ألا وهي: "(الحقد على من عداهم من البشر)، بينما تقوم كافة (العُنصريَّات) عند مختلف الأمم، في جميع العصور، على تفضيل جنسها على سائر الأجناس البشريَّة فقط، ولكنها عند اليهود تزيد إلى درجة تمنِّي

(١) د. أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغيبي، العنصرية اليهودية ، ص٦٦–٦٧.

(٢) للمزيد ، ينظر: د. أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغيبي، العنصرية اليهودية ، ص٦٧– ٦٨.

(٣) عجيبة، د. أحمد علي: موسوعة العقيدة والأديان، دراسات في الأديان الوثنية القديمة، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص٣٧.

الموت لمن عداهم من غير اليهود".[١] بل وقد تجاوزت مرحلة التمني، إلى الأمر بقتل وإبادة غير اليهود، والأمثلة التي تؤكد ذلك كثيرة، كما ستوضح الدراسة.

والعنصرية –كما تبين لنا– في جوهرها نزعة عدوانية، لأنها تقوم على التمييز والتميز، والاختيار والتفوق والتفرد، – وذلك في اعتقاد البعض–. ولقد "أسهمت النزعة العنصرية، والروح العدوانية، التي تجذرت في ذوات وعقول اليهود، أسهمت في انغلاقهم وتعصبهم وتوجسهم من الأغيار، واعتقادهم بأنهم الزرع المقدس، والشعب المختار".[٢]

وذكر "ישראל שחק"، اسرائيل شاحاك[٣]، أنه: "وفق أحكام الديانة اليهودية، يعدّ قتل اليهودي جريمة كبرى، عقوبتها الإعدام، وإحدى أشنع الخطايا الثلاث (الخطيئتان الأخريان هما: عبادة الأوثان، والزنا). والمحاكم الدينية اليهودية والسلطات العلمانية ملزمة بمعاقبة قاتل اليهودي، حتى خارج نطاق إجراءات العدالة المعتادة (...) أما عندما يكون الضحية غير يهودي، يكون الأمر مختلفاً تماماً، فاليهودي الذي يقتل غير اليهودي، يكون اليهودي مذنباً بارتكاب خطيئة ضدّ قانون السماء، والمحكمة لا تعاقب عليها. أما التسبب في موت غير يهودي، بطريقة غير مباشرة، فلا يعدّ خطيئة على الإطلاق".[٤] فالتشريع اليهودي كذلك تشريع عنصري، يفرق في أحكامه بين اليهودي وغير اليهودي، فمثلا:

---

(١) أنداسو، د. يس مزقول إسماعيل: العُنصريَّة في المعتقد اليهودي, ماضٍ كئيب .. ومُستقبل مُظلم، مجلة البحث العلمي للعلوم والآداب، جامعة الدلنج، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، المجلد ١٠، العدد ١٥، السودان، ديسمبر ٢٠١٤م، ص٣.

(٢) ينظر: خليل، علي: اليهودية بين النظرية والتطبيق، مقتطفات من التلمود والتوراة، اتحاد الكتاب العربي، ١٩٩٧م، ص٨٣. (بتصرف بسيط).

(٣) "ישראל שחק" إسرائيل شاحاك (١٩٣٣-٢٠٠١): ولد في ٢٩ /١٩٣٣/٤م وارسو، بولندا، وتوفي في ٢ /٢٠٠١/٧م في القدس، وهو إسرائيلي بولندي. عمل محاضراً في الكيمياء العضوية بكلية العلوم بالجامعة العبرية في القدس(١٩٦٥-١٩٨٩). ورئيسًا لرابطة حقوق الإنسان والحقوق المدنية، إسرائيل (١٩٧٠-١٩٩٠)، عرف عنه نقده الصريح للحكومة الإسرائيلية، وللمجتمع الإسرائيلي. كما أن كتاباته حول اليهودية أثارت الكثير من الجدل، وقد وصفه البعض بالمعاداة للسامية. (للمزيد، حول شاحاك وأعماله، ينظر الموقع التالي، (متاح في ١٥-٤- ٢٠٢٠م ١٤:٧مساء):

(٤) شاحاك، اسرائيل: التاريخ اليهودي: الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، ترجمة صالح علي سوداح، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٥، ص١٢٠.

"القاتل غير اليهودي الخاضع للولاية اليهودية، يجب أن يُعدم، سواء كان الضحية يهودياً أو غير يهودي، لكن إذا كان القتيل غير يهودي، وتحول القاتل إلى اليهودية، فلا يعاقب. أما في حالة الحرب، فيمكن أو حتى يجب قتل جميع المنتسبين إلى الشعب المعادي لليهود".(١) لذلك يمكن القول إن العنصرية اليهودية هي أسوأ أنواع العنصريات، وذلك لاستغلالها الدين في تحقيق أهدافها.

ثالثًا: مصادر العنصرية اليهودية:

تستند العنصرية اليهودية إلى مصدرين أساسيين، يستقي منهما اليهود كل المبادئ والتعاليم الدينية العنصرية، التي يستندون إليها في كافة ممارساتهم، وهما:

المصدر الأول: التوراة(٢)، أو العهد القديم؛ الذي يعد المصدر الأول للتشريع عند اليهود، فهو الكتاب المقدس الأول لديهم، والذي يستقون منه كافة ممارساتهم العنصرية.

المصدر الثاني: التلمود؛ وهو من المصادر الرئيسة التي يقدسها اليهود، ولا يقل أهمية عن المصدر السابق، بل إنه المصدر الأهم عندهم، فهو الكتاب العقائدي الذي يحتوي على التعاليم اليهودية، المنطوية على العنصرية ضد غير اليهود. حيث "لم يكتف اليهود بما جاء في التوراة من اتهامات لأنبياء الله، ومن تعاليم خبيثة، تبيح الغدر والمكر وسفك الدماء. فأخذ الربيون والحاخامات يفسرون التوراة حسب أهوائهم وبالشكل الذي يرضى غرائزهم الشريرة، ونزوعهم إلى عمل المنكرات، واستعلائهم على بقية أجناس

(١) إسماعيل، عباس: عنصرية إسرائيل فلسطينو ٤٨ نموذجاً، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م- ١٤٢٩هـ، ص٢١.

(٢) تجدر الإشارة إلى أنه حين تذكر الدراسة لفظ "التوراة"، فإنه يراد بالتوراة العهد القديم كاملاً بجميع أسفاره، من باب إطلاق الجزء على الكل. ويتفق كثير من العلماء في هذا الاستعمال، منهم د. أحمد شلبي فيقول: "وقد تطلق "التوراة" على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل، أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى، لأنه أبرز زعماء بني إسرائيل، وعنده يبدأ تاريخهم الحقيقي، وكلمة توراة معناها الشريعة أو التعاليم الدينية". (شلبي، د. أحمد: مقارنة الأديان –١– اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٨٨م، ص٢٣٠).

البشر(...) ويقدس اليهود التلمود، ويعتبرونه أهم من التوراة، ويرون أن من يحتقر أقوال الحاخامات يستحق الموت، وأنه لا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل ما جاء في شريعة موسى".[١] الأمر الذي يعكس مدى تقديسهم وتقديرهم للتلمود. وسوف تركز الدراسة على المصدر الأول من مصادر العنصرية اليهودية، ألا وهو العهد القديم.

(١) أحمد، إبراهيم خليل: إسرائيل والتلمود – دراسة تحليلية، مكتبة الوعي العربي، ١٩٦٧م، ص٥٦ ، ٥٧.

المبحث الأول

الاستعلاء اليهودي والزعم بأنهم شعب الله المختار

يتناول هذا المبحث المظهر الرئيس من مظاهر العنصرية اليهودية، وهو الاستعلاء اليهودي والزعم أن اليهود هم شعب الله المختار، حيث "تنص اليهودية على أن اليهود يشكلون عنصراً مميزًا عن سائر العناصر البشرية، وشعباً متميزًا عن كافة الشعوب بخصائصه وتفرده. والتعاليم اليهودية تركز بقوة على العنصرية، عبر تأكيدها على الاختيار والقداسة والتفوق وعدم الاختلاط بالشعوب والأمم الأخرى".(١) وعليه فالعنصرية اليهودية نابعة من الدين وتعاليمه.

ولأن هذا الاعتقاد الراسخ في العقلية اليهودية بتميزهم وتفضيلهم على غيرهم، نابع من الدين وتعاليمه، فقد أكسبهم ذلك الاعتقاد غروراً وغطرسة، وإن كان ذلك غير مسبوق إلاّ أنه قد مارسه غيرهم. "ولم يكن هذا الغرور الجاهلي بدعاً تفرد به بنو إسرائيل بين الأمم، بل ادعاه غيرهم كثيرون مثل الرومان، واليونان، والفرس (...) إلاّ أن بني إسرائيل تفردوا بين الأمم بآفتهم المتكررة، وخطيئتهم المدمرة، حين جعلوا ذلك عقيدة وديناً، ونسبوه إلى الوحي الأعلى، وسجلوه في صلب كتبهم الدينية على أنه حقائق إلهية ومقررات نبوية.! ثم قامت أفاعي الأحبار تنفخ على هذا الضلال حتى صار سعاراً مقدساً، وسعيراً متأججاً، طافحاً بالحقد والبغضاء العاصفة.! ولقد كان هذا الاستعلاء الجاهلي المظلم من أفدح الجنايات التي أوقعها اليهود بوحي السماء، فعطلوا بذلك مسيرته، وخانوا أمانته، ودمغوه بالعنصرية والشعوبية، مع أنه رحمة الله للعالمين".(٢) وفيما يلي يتضح كيف أن أسفار العهد القديم مليئة بالنصوص الداعية إلى العنصرية والداعمة لها.

وقضية الاستعلاء العنصري، والزعم باختيار الله لشعبه (اليهود)، هي من القضايا والموضوعات الرئيسة في العديد من أسفار العهد القديم؛ فنجد – مثلاً– في سفر التثنية،

(١) ينظر: علي خليل: اليهودية بين النظرية والتطبيق، ، ص٨٣، (بتصرف بسيط).

(٢) للمزيد، ينظر: عبد الستار فتح الله سعيد: معركة الوجود بين القرآن والتلمود، ص١٥٧– ١٥٨.

ما يوضح زعمهم باختيار الله لهم وحدهم، وتمييزهم عن غيرهم، واختصاصهم دون غيرهم من باقي الشعوب التي على وجه الأرض قاطبة، بمحبته ورعايته، فجاء فيه:

״ כִּי **עַם קָדוֹשׁ** אַתָּה, לַיהוָה אֱלֹהֶיךָ: בְּךָ בָּחַר יְהוָה אֱלֹהֶיךָ, לִהְיוֹת לוֹ לְעַם סְגֻלָּה, מִכֹּל הָעַמִּים, אֲשֶׁר עַל-פְּנֵי הָאֲדָמָה. לֹא מֵרֻבְּכֶם מִכָּל-הָעַמִּים, חָשַׁק יְהוָה בָּכֶם--וַיִּבְחַר בָּכֶם: כִּי-אַתֶּם הַמְעַט, מִכָּל-הָעַמִּים. כִּי מֵאַהֲבַת יְהוָה אֶתְכֶם, וּמִשָּׁמְרוֹ אֶת-הַשְּׁבֻעָה אֲשֶׁר נִשְׁבַּע לַאֲבֹתֵיכֶם, הוֹצִיא יְהוָה אֶתְכֶם, בְּיָד חֲזָקָה; וַיִּפְדְּךָ מִבֵּית עֲבָדִים, מִיַּד פַּרְעֹה מֶלֶךְ-מִצְרָיִם״.(١)

الترجمة: "لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. فقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكُمْ، أَخْرَجَكُمُ الرَّبُّ بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَفَدَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ مِنْ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ".

وتجدر الإشارة إلى أن جملة ״**עַם קָדוֹשׁ**״ ، بمعنى: "الشعب المقدس، كناية عن شعب إسرائيل في الكتاب المقدس.(٢) قد تكررت في نفس السفر عدة مرات(٣)، منها:

"כִּי **עַם קָדוֹשׁ אַתָּה**, לַיהוָה אֱלֹהֶיךָ; וּבְךָ בָּחַר יְהוָה, לִהְיוֹת לוֹ לְעַם סְגֻלָּה, מִכֹּל הָעַמִּים, אֲשֶׁר עַל-פְּנֵי הָאֲדָמָה".(٤) الترجمة: "لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ".

---

(١) سفر التثنية: ٧: ٦–٨.

(٢) דוד שגיב, ע' עַם קָדוֹשׁ.

(٣) אבן שושן, אברהם: קונקורדנציה חדשה, לתורה נביאים וכתובים, אוצר לשון המקרא- עברית וארמית שרשים، מלים שמות פרטיים. צרופים ורדפים. הוצאת״ קרית-ספר, ירושלים 1987, ע' עַם קָדוֹשׁ.

(٤) سفر التثنية: ١٤: ٢.

ثم يوضح كيف يجعله الرب مستعلياً على كل الأغيار، فبدا الأمر بالاستعلاء العنصري ضد الأغيار من التعاليم الدينية، لأنهم شعبه المقدس الذي اختاره له:

״ וּלְתִתְךָ עֶלְיוֹן, עַל כָּל-הַגּוֹיִם אֲשֶׁר עָשָׂה, לִתְהִלָּה, וּלְשֵׁם וּלְתִפְאָרֶת; וְלִהְיֹתְךָ **עַם-קָדֹשׁ לַיהוָה** אֱלֹהֶיךָ, כַּאֲשֶׁר דִּבֶּר״.(١)

الترجمة: وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُسْتَعْلِيًا عَلَى جَمِيعِ الْقَبَائِلِ الَّتِي عَمِلَهَا فِي الثَّنَاءِ وَالاسْمِ وَالْبَهَاءِ، وَأَنْ تَكُونَ شَعْبًا مُقَدَّسًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ، كَمَا قَالَ».

ويتكرر نفس الأمر هنا، غير أنه في الفقرة التالية أضاف إضافة مهمة عقب اختيار الرب لشعبه، وهي شريطة أن يحفظوا وصايا الرب ولا ينحرفوا عن طريقه، وهو ما لم يذكر في جميع المواضع:

״ יְקִימְךָ יְהוָה לוֹ **לְעַם קָדוֹשׁ**, כַּאֲשֶׁר נִשְׁבַּע-לָךְ: כִּי תִשְׁמֹר, אֶת-מִצְוֹת יְהוָה אֱלֹהֶיךָ, וְהָלַכְתָּ, בִּדְרָכָיו״.(٢) الترجمة: "يُقِيمُكَ الرَّبُّ لِنَفْسِهِ شَعْبًا مُقَدَّسًا كَمَا أقسم لَكَ، إِذَا حَفِظْتَ وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكَ وَسَلَكْتَ فِي طُرُقِهِ".

ولكلمة ״**קָדוֹשׁ**״ معانٍ عدة، منها: ١- مقدس، منزه، معصوم. ٢- "نقي، طاهر، مطهر تماماً، مقدساً".(٣) ٣- من الأسماء الحسنى في التوراة.(٤) ٤- "مخصص لخدمة الرب.. وتُشير كلمة "مقدس" إلى تكريس القلب وكل كيان الإنسان لله، فيصير خاصًا به، معتزلًا كل شر. ويرى البعض أن الكلمة تعني نقاوة الإنسان بالكلية من كل ما هو أرضي، حيث ينسحب كيان الإنسان إلى الحياة السماوية المقدسة، ليعيش مع القدوس. يجب أن تصبح هاتان الصفتان ملازمتين للشعب، ولكل مؤمنٍ تمتع بالدعوة

(١) سفر التثنية: ٢٦ : ١٩.

(٢) نفسه، التثنية: ٢٨: ٩.

(٣) אבן שושן, המלון החדש, ע' קָדוֹשׁ.

ويتكرر نفس الأمر فنجد في (التثنية: ١٤ : ٢١):

״... כִּי עַם קָדוֹשׁ אַתָּה, לַיהוָה אֱלֹהֶיךָ.״ الترجمة: "لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ".

(٤) דוד שגיב, ע' קָדוֹשׁ.

الإلهية. إن كان الرب قد كرّمهم واختارهم دون غيرهم، فكيف يهينونه باختيارهم للأوثان عِوضًا عنه؟! أراد الله أن يرفعهم إلى خاصته فوق كل الشعوب، فهل يريدون النزول بمستواهم إلى الانضمام إلى الشعوب الوثنية؟ لقد أراد لهم أن يكونوا خاصته، ألاَّ يريدون أن يكون هو خاص بهم، لا يقبلون آخر غيره؟! بقوله " لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ"، يعني: أنه صار ملكية خاصة لله، ليس من حقه التصرف بذاته بل حسب إرادة من اقتناه".[١] وتوضح التوراة كيف بدأ الاختيار يتحقق مع الآباء؛ إبراهيم وإسحاق ويعقوب –عليهم السلام–، فجاء في سفر التكوين:

"וַיֹּאמֶר יְהוָה אֶל-אַבְרָם, לֶךְ-לְךָ מֵאַרְצְךָ וּמִמּוֹלַדְתְּךָ וּמִבֵּית אָבִיךָ, אֶל-הָאָרֶץ, אֲשֶׁר אַרְאֶךָּ. וְאֶעֶשְׂךָ, לְגוֹי גָּדוֹל, וַאֲבָרֶכְךָ, וַאֲגַדְּלָה שְׁמֶךָ; וֶהְיֵה, בְּרָכָה. וַאֲבָרְכָה, מְבָרְכֶיךָ, וּמְקַלֶּלְךָ, אָאֹר; וְנִבְרְכוּ בְךָ, כֹּל מִשְׁפְּחֹת הָאֲדָמָה״ .[٢]

الترجمة: "وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ".

فقد جاء الأمر هنا لإبراهيم بالخروج من أرضه، إلى أرض غيرها لم يعرفها، وترك عشيرته وبيت أبيه وكل شيء تنفيذاً لأمر الله له، وأنه سيباركه ويجعله أمة عظيمة، وفسر البعض ذلك بأنه: "تصف قضية "**לך לך**"؛ رحلة جدنا إبراهيم وفقاً لوصية الله، حيث يأمره الله بترك كل شيء والذهاب إلى المجهول. مثل هذه المهمة، هي تجربة صعبة للغاية،

(١) אלעזר חיים ב״ר דוד אריה הכהן קליין : ערך שוע. ליקוטים וציונים. הערות וביאורים דברי התבוננות ועומק על תפילת שמונה עשרה. יוצא לאור בהודאה להשי״ת תש״פ-ירושלים- עמ' קי.

وللمزيد، ينظر: تفسير الكتاب المقدس -العهد القديم– الموقع التالي (في ٢٠٢١/١٠/١١م، ٣:٥٠م):

- https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/05-Sefr-El-Tathneya/Tafseer-Sefr-El-Tathnia__01-Chapter-07.html#1

(٢) سفر التكوين: ١٢: ١–٣.

يواجهها أي شخص، في الواقع، يأمر إبراهيم أن يترك فورًا كل ما هو مألوف له، ويذهب إلى مكان مجهول. إنها تجربة صعبة، مصحوبة بوعد بأنه إذا استوفى المحاولة، فسوف ينعم بالعديد من البركات".[١] يبدو أن "هناك تكرارًا، والجديد في الفقرة السابقة، –بحسب تفسير راشي– ليست في باب الثواب والعقاب، ليست أجرًا على الأعمال الصالحة، إنما يريد الله أن يكشف له الأرض، لإرضائه ومكافأته".[٢] ثم جاء في سفر اللاويين، ما يؤكد تمييزهم عن غيرهم من الشعوب:

"אֲנִי יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם, אֲשֶׁר-הִבְדַּלְתִּי אֶתְכֶם מִן-הָעַמִּים".[٣]

الترجمة: "أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي مَيَّزَكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ".

وهنا يصف كاتب السفر "الإله" بأنه يميل إليهم وحدهم، وكيف لا وهو ويميزهم من بين الشعوب، وأنه "مهما صنع بنو إسرائيل، وتخلوا عن فرائضه، فإنه لا يتخلى عنهم، لأنهم شعبه، ويرحمهم من أجل آبائهم القديسين الذين أحبهم وأحبوه".[٤] وهذا يوضح "اختلافهم عن بقية الشعوب الأخرى، لأن كل أعمالهم ستكون من أجل الجنة".[٥] لكن الهدف وفقاً لتفسير "راشي" لهذه الفقرة هو: "أن الرب حفظهم لئلا يقعوا في الخطايا، وفي

(١) عيين: מתי אלפר: פרשת שבוע כלכלית: לך לך، עתון ידיעות אחרונות פורסם: 04.11.11 , 16:22

https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4143295,00.html

(٢) אזרחי, ברוך מרדכי ברכת מרדכי השלם - מוסר - בראשית - כל המאמרים שהופיעו במהדורות הקודמות בתוספת מאמרים חדשים- בהוצאת מכון "יד מאיר". ירושלם- התשס"ו– עמוד קכד- קכה .124-125. وللمزيد، ينظر أيضاً:

– הלברשטם, בנציון אריה ליבוש בן שלמה: קובץ אמרי קודש (באבוב) - ירח האיתנים - חג הסוכות- בהוצאת "עמודי ציון" ד'באבוב, ברוקלין, ניו יארק, עמ' 516.

(٣) سفر اللاويين: ٢٠: ٢٤.

(٤) حسين، د. عماد علي عبدالسميع: الإسلام واليهودية، دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م– ١٤٢٥هـ، ص ١٠٨.

(٥) קארף, משה מרדכי: ספר ויבינו במקרא - ויקרא- נדפס בארץ ישראל, קרית ספר, ירושלים תש"ע , עמ' 168؛ גם עיין: שיינערמאן, משה יוסף: ספר אהל משה על התורה - ספר ויקרא – ברוקלין ניו יארק, תש"ע , עמ' 401؛ קרקובסקי, מנחם מוילנה: ספר ארזי הלבנון - קבץ דרשות– יצא לאור ע"י אלמנת הגאון המחבר, הרבנית בדנה בת הגאון، רבן של ישראל רבני א ליהו הלוי פיינשטיין זצ"ל، וילנה שנת תרצ"ו، עמ'66.

ذلك إشارة إلى القيادة الخاصة لإله إسرائيل، الذي يراقبنا مراقبة خاصة".[١] وورد نفس المعنى العنصري الذي يميزهم عن جميع الشعوب كذلك في سفر التثنية، بل تجاوز ذلك، أن ميّز حتى بهائمهم، فقال:

״ בָּרוּךְ תִּהְיֶה , מִכָּל - הָעַמִּים: לֹא - יִהְיֶה בְךָ עָקָר וַעֲקָרָה, וּבִבְהֶמְתֶּךָ״.[٢] الترجمة: "مُبَارَكًا تَكُونُ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. ولا يَكُونُ فِيكَ وَلاَ فِي بَهَائِمِكَ عَقِيمٌ وَلاَ عَاقِرٌ".

ثم يصف كاتب سفر اشعيا تميزهم وتفضيلهم على غيرهم، ويغالي في ذلك مغالاة بالغة، بأن يجعل غيرهم يسجدون لهم، ويبالغ في الأمر، لدرجة أن يجعل الأغيار يلحسون غبار رجليه:

״ וְהָיוּ מְלָכִים אֹמְנֶיךָ, וְשָׂרוֹתֵיהֶם מֵינִיקֹתֶיךָ--אַפַּיִם אֶרֶץ יִשְׁתַּחֲווּ לָךְ, וַעֲפַר רַגְלַיִךְ יְלַחֵכוּ (...) וְאֶת-יְרִיבֵךְ אָנֹכִי אָרִיב, וְאֶת-בָּנַיִךְ אָנֹכִי אוֹשִׁיעַ. וְהַאֲכַלְתִּי אֶת-מוֹנַיִךְ אֶת-בְּשָׂרָם, וְכָעָסִיס דָּמָם יִשְׁכָּרוּן ; וְיָדְעוּ כָל-בָּשָׂר, כִּי אֲנִי יְהוָה מוֹשִׁיעֵךְ״.[٣]

الترجمة: "وَيَكُونُ الْمُلُوكُ حَاضِنِيك وَسَيِّدَاتُهُمْ مُرْضِعَاتِك. بِالْوُجُوهِ إِلَى الأَرْضِ يَسْجُدُونَ لَك، وَيَلْحَسُونَ غُبَارَ رِجْلَيْك(...) وَأَنَا أُخَاصِمُ مُخَاصِمَكِ وَأُخَلِّصُ أَوْلاَدَك، وَأُطْعِمُ ظَالِمِيكِ لَحْمَ أَنْفُسِهِمْ، وَيَسْكَرُونَ بِدَمِهِمْ كَمَا مِنْ سُلاَفٍ، فَيَعْلَمُ كُلُّ بَشَرٍ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُخَلِّصُك".

وربما قيل إن "القرآن الكريم قد أقر بتفضيل بني إسرائيل على العالمين، لقوله تعالى: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ" (البقرة ٤٠)، والجواب: إن التفضيل موقوت ومشروط؛ موقوت لأنهم يومذاك كانوا موحدين في عالم وثني، وكل من دخل في التوحيد شمله التفضيل، ومشروط بالوفاء بالعهد، لقوله

(١) גולדוסר, יצחק פינחס בן יהודה ספר מי זהב – הערות וביאורים, רעיונות וחידושים על סדר פרשיות תורה שבכתב, תשס״ה בני-ברק، עמ׳ 482.

(٢) سفر التثنية: ٧: ١٤.

(٣) سفر إشعيا: ٤٩: ٢٣ ، ٢٥-٢٦.

تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾(البقرة: ٤٧)، فلما توقف الوفاء بالعهد زالت النعمة".[١] فعدم وفاء بني إسرائيل، وعصيانهم، ونقضهم العهد مراراً، وعدم مقابلة نعم الله عليهم بالشكر والعرفان، بل بالجحود والبطر والطغيان والكفران؛ فكان نتيجة ذلك كله أن سلب الله منهم هذه النعم وهذا التفضيل، وأزاله عنهم، وتنبأ بتشردهم، فتقول التوراة:

״ הִשָּׁמְרוּ לָכֶם, פֶּן-תִּשְׁכְּחוּ אֶת-בְּרִית יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם, אֲשֶׁר כָּרַת, עִמָּכֶם; וַעֲשִׂיתֶם לָכֶם פֶּסֶל תְּמוּנַת כֹּל, אֲשֶׁר צִוְּךָ יְהוָה אֱלֹהֶיךָ. כִּי יְהוָה אֱלֹהֶיךָ, אֵשׁ אֹכְלָה הוּא: אֵל, קַנָּא. כִּי-תוֹלִיד בָּנִים וּבְנֵי בָנִים, וְנוֹשַׁנְתֶּם בָּאָרֶץ; וְהִשְׁחַתֶּם, וַעֲשִׂיתֶם פֶּסֶל תְּמוּנַת כֹּל, וַעֲשִׂיתֶם הָרַע בְּעֵינֵי יְהוָה-אֱלֹהֶיךָ, לְהַכְעִיסוֹ״.[٢]

الترجمة: "اِحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَنْسَوْا عَهْدَ الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّذِي قَطَعَهُ مَعَكُمْ، وَتَصْنَعُوا لأَنْفُسِكُمْ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا، صُورَةَ كُلِّ مَا نَهَاكَ عَنْهُ الرَّبُّ إِلهُكَ. لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ هُوَ نَارٌ آكِلَةٌ، إِلهٌ غَيُورٌ. «إِذَا وَلَدْتُمْ أَوْلاَدًا وَأَوْلاَدَ أَوْلاَدٍ، وَأَطَلْتُمُ الزَّمَانَ فِي الأَرْضِ، وَفَسَدْتُمْ وَصَنَعْتُمْ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا صُورَةَ شَيْءٍ مَّا، وَفَعَلْتُمُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ لإِغَاظَتِهِ".

وفي عصر داود – عليه السلام – عاد الإسرائيليون وأكدوا العهد، وغالوا في العنصرية، حتى جعلوا الله يأخذ داود من وراء الغنم ليكون ملكاً عليهم، [بحسب التوراة]، ويكون معه حيثما توجه، ويقرض جميع أعدائه ويصنع له اسما كعظماء الأرض، ويريحه من أعدائه جميعاً ويعد نسله من بعده أن يقيموا مكانه. فتقول التوراة:

״ עַתָּה כֹּה-תֹאמַר לְעַבְדִּי לְדָוִד, כֹּה אָמַר יְהוָה צְבָאוֹת, אֲנִי לְקַחְתִּיךָ מִן-הַנָּוֶה, מֵאַחַר הַצֹּאן--לִהְיוֹת נָגִיד, עַל-עַמִּי עַל-יִשְׂרָאֵל. וָאֶהְיֶה עִמְּךָ, בְּכֹל אֲשֶׁר הָלַכְתָּ, וָאַכְרֶתָה אֶת-כָּל-אֹיְבֶיךָ, מִפָּנֶיךָ; וְעָשִׂתִי לְךָ שֵׁם גָּדוֹל, כְּשֵׁם הַגְּדֹלִים אֲשֶׁר בָּאָרֶץ.".[٣]

(١) إسحاق موسى الحسيني، ص٣.

(٢) سفر التثنية: ٤: ٢٣–٢٥.

(٣) سفر صموئيل الثاني: ٧ : ٨–٩.

الترجمة: "وَالآنَ فَهكَذَا تَقُولُ لِعَبْدِي دَاوُدَ: هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: أَنَا أَخَذْتُكَ مِنَ الْمَرْبَضِ مِنْ وَرَاءِ الْغَنَمِ لِتَكُونَ رَئِيسًا عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. وَكُنْتُ مَعَكَ حَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ، وَقَرَضْتُ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مِنْ أَمَامِكَ، وَعَمِلْتُ لَكَ اسْمًا عَظِيمًا كَاسْمِ الْعُظَمَاءِ الَّذِينَ فِي الأَرْضِ".

في ضوء الأمثلة السابقة وغيرها، يتضح أن "إله اليهود نفسه يؤصّل للعنصرية، ويدعو إليها، ما دامت تحفظ لشعبه المختار مكانتهم وتميزهم عن الشعوب الأخرى. ولأن اليهود شعب (مقدس) –حسب نص التوراة– رأى الرب أن يلزمهم بالاحتفاظ بنقاء العنصر والعرق، بأن جعل (الهلاك) مصير كل من يخالف شرعه ويتزوج من الشعوب الأخرى غير اليهودية!".[١] هكذا مارس اليهود الاستعلاء العنصري، تحت مظلة الدين، وزعموا أنهم شعب الله المختار، الذين اختصهم الله له دون غيرهم.

(١) د. يس مزقول إسماعيل: العنصرية في المعتقد اليهودي، ص ٥.

المبحث الثاني

العزلة وعدم الاندماج مع غير اليهود

في هذا المبحث، تتناول الدراسة المظهر الثاني من مظاهر العنصرية اليهودية، فقد كانت التعاليم الدينية اليهودية دوماً وراء العزلة التي فرضها اليهود على أنفسهم؛ "لأنّها تحضُّ على الاستعلاء والتوجّس من الأغيار، وعدم الاختلاط بالشعوب، وضرورة التقّيد بالقوانين والأنظمة الدينية الصارمة، وقد لعب الحاخامات والأثرياء اليهود دوراً مهماً في تكريس هذه العزلة، وتعميق الشعور بالانتماء إلى عرق متضامن متفوق".(١) وإعطاء ذلك صبغة دينية، وأنها في ضوء التعاليم الدينية التي تأمرهم بها التوراة، والتلمود، ويشجع عليها حاخاماتهم، "ولقد أسهمت الأساطير التوراتية والتلمودية التي كتبت في عصر السبي البابلي وما بعده، في تمسك اليهود بنظريات الأفضلية، والعرق المتميز المختار، وغير ذلك من الخزعبلات التي شقوا بها وأشقوا معهم البرية، طوال عصورهم، وجعلتهم منبوذين في كل مكان يتواجدون فيه، وجلبت عليهم كراهية الشعوب الأخرى، واضطهادها لهم، ومحاولتها التخلص منهم أو عزلهم في أحياء خاصة بهم مثل الجيتو أو حارات اليهود".(٢)

وجاء في الموسوعة العبرية عن عزلة اليهود، وإعدادهم أحياءً خاصة بهم، للعيش فيها مثل (الجيتو)؛ تبريراً لذلك، وهو شعورهم بعدم الأمان، ورغبة في المحافظة على شرائعهم الدينية، فضلاً عن شعورهم بالكراهية من قبل غيرهم؛ فجاء فيها: "إن أسباب انعزال اليهود في تجمعات خاصة بهم، عن سائر المجتمعات التي يعيشون فيها؛ هو أن واقع اليهود وطابعهم دفعهم دائمًا إلى التجمع والإقامة سويًا في شارع واحد، أو في حي واحد، للمحافظة على الشرائع الدينية لهم، والمقابر، والمساعدة فيما بينهم للمضطهدين من أبناء جنسهم، وانعدام الأمن لهم، لكونهم غرباء، ومكروهين من قبل الشعوب التي يعيشون

(١) علي خليل: اليهودية بين النظرية والتطبيق، ص ٥.

(٢) عبدالسلام، أحمد لطفي: جذور العنف والعنصرية في الفكر الديني اليهودي وامتداده إلى الدولة الإسرائيلية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م-١٤٢٢هـ، ص ١٧٤.

معهم".[١] لذا يمكن القول "إن الصهيونية الدينية (أي: استخدام الدين اليهودي في خدمة الصهيونية)، هي إحدى الوسائل التي حاول من خلالها قادة الحركة الصهيوينة منع اندماج اليهود في الحياة المدنية، والسياسية، للمجتمعات التي كانوا يعيشون فيها، ولذلك فإن رجال الدين اليهودي وجدوا في الصهيونية أيضاً أحد المرتكزات الأساسية للعنصرية الصهيونية، وأن بعض منظري الفلسفة الدينية الصهيوينة، قد انطلقوا من أن التوراة هي روح الأمة، وأن الديانة اليهودية لا يمكن أن تزدهر إلاّ في الدولة اليهودية، وهذا تبرير ديني، على أن قيام الدولة اليهودية هو المكان المناسب لممارسة الدين اليهودي".[٢] وعليه فإن كل الممارسات متاحة في سبيل تحقيق ذلك، وتحت سند ديني.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا المظهر يُعدّ نتيجة للمظهر السابق، حيث إن اعتقاد اليهود بأفضليتهم على غيرهم وأنهم شعب الله المختار المقدس، جعلتهم يجدون أنفسهم في عزلتهم وعدم اختلاطهم بالأغيار. و"يستند الصهاينة واليهود عموماً إلى الدين في كل ما يتعلق بأمورهم واتجاهاتهم السياسية والاجتماعية، ويعتبرون نصوص الدين أساساً لكل عمل لهم في الأرض، وهم يعلنون دائماً أن اليهود يشكلون كيانا دينياً قومياً عرقياً، غير قابل للاندماج أو الانصهار في الشعوب الأخرى".[٣] وينعكس ذلك على الواقع الآن؛ إذ "يحظر على الفلسطينيين السكن في مستوطنات اليهود أو مدنهم، وانطلاقًا من هذه السياسة لم تنجز الخرائط الهيكلية لأغلب القرى والمدن الفلسطينية، مما يعيق عملية تطور القرية والمدينة الفلسطينية، ويعرقل مخططات البناء، ويسيء إلى وضع الإسكان فيها".[٤]

وتتجلى العنصرية اليهودية في التوراة في صورة أخرى، ألا وهي الأمر بعدم مصاهرة غير اليهود، في ضوء عدم اختلاط اليهود بالأغيار، فنجد في سفر التثنية:

---

(١) האנציקלופדיה העברית, כללית, יהודית וארצישראלית, חברה להוצאת אנציקלופדיות בע״מ, ירושלים - תשי״ד - תל- אביב. עמ' 596-595.

(٢) شيحة، د. ميشيل: جذور الفكر الصهيوني وسياسة التمييز العنصري في إسرائيل، مجلة جامعة دمشق، المجلد ١٩ ، العدد الثاني– ٢٠٠٣م، ص ٤٠٢.

(٣) علي خليل: اليهودية بين النظرية والتطبيق، ص ٥.

(٤) د. ميشيل شيحة،: جذور الفكر الصهيوني، ص ٣٩٤.

וְלֹא תִתְחַתֵּן, בָּם: בִּתְּךָ לֹא-תִתֵּן לִבְנוֹ, וּבִתּוֹ לֹא-תִקַּח לִבְנֶךָ.[١]

الترجمة: وَلاَ تُصَاهِرْهُمْ. بْنَتَكَ لاَ تُعْطِ لابْنِهِ، وَبِنتُهُ لاَ تَأْخُذْ لابْنِكَ.

وتتكرر تعاليم التوراة التي تحذر اليهود بعدم تزويج بناتهم لأبناء غير اليهود، وكذلك عدم زواج أبناء اليهود من بنات غيرهم، وذلك في مواضع عديدة، كما تأمرهم التوراة بالعزلة عنهم، فتحرّم على اليهودي إعطاء بناته لغريب، وكذا عدم أخذ بنات الغريب لبنيه، كما تنهاهم عن إقامة معاهدات سلام مع الأغيار، ولا تحالفات سياسية عسكرية، فتقول التوراة:

"וְעַתָּה בְּנוֹתֵיכֶם אַל-תִּתְּנוּ לִבְנֵיהֶם, וּבְנֹתֵיהֶם אַל-תִּשְׂאוּ לִבְנֵיכֶם, וְלֹא-תִדְרְשׁוּ שְׁלֹמָם וְטוֹבָתָם, עַד-עוֹלָם--לְמַעַן תֶּחֱזְקוּ, וַאֲכַלְתֶּם אֶת-טוּב הָאָרֶץ, וְהוֹרַשְׁתֶּם לִבְנֵיכֶם, עַד-עוֹלָם".[٢]

الترجمة: "وَالآنَ فَلاَ تُعْطُوا بَنَاتِكُمْ لِبَنِيهِمْ وَلاَ تَأْخُذُوا بَنَاتِهِمْ لِبَنِيكُمْ، وَلاَ تَطْلُبُوا سَلاَمَتَهُمْ وَخَيْرَهُمْ إِلَى الأَبَدِ لِكَيْ تَتَشَدَّدُوا وَتَأْكُلُوا خَيْرَ الأَرْضِ وَتُورِثُوا بَنِيكُمْ إِيَّاهَا إِلَى الأَبَدِ".

كل هذه المغالاة والتحذيرات بعدم الاختلاط بغير اليهود، بدعوى أنها تعاليم التوراة؛ "حتى يُنزلوا الخوف في قلوبِ من تسوّل لهم أنفسهم الاقتراب والاقتران يغير اليهود، حتى لا يغضب منه "يهوه" إله اليهود، ويجعل تلك الشعوب أقوى من اليهود – بمخالفتهم شرعه – ويجعلهم سبباً في فناء وانقراض اليهود".[٣] ثم نجد في سفر يشوع كذلك تحذير التوراة لليهود من الاختلاط بالأغيار ومصاهرتهم، حيث يزعم كاتب السفر على لسان الإله في التوراة، أنَّ فناء اليهودي يكمُن في اختلاطهم بغير اليهود، فجاء فيه:

"כִּי אִם-שׁוֹב תָּשׁוּבוּ, וּדְבַקְתֶּם בְּיֶתֶר הַגּוֹיִם הָאֵלֶּה, הַנִּשְׁאָרִים הָאֵלֶּה, אִתְּכֶם; וְהִתְחַתַּנְתֶּם בָּהֶם וּבָאתֶם בָּהֶם, וְהֵם בָּכֶם. יָדוֹעַ, תֵּדְעוּ, כִּי לֹא יוֹסִיף יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם לְהוֹרִישׁ אֶת-הַגּוֹיִם הָאֵלֶּה, מִלִּפְנֵיכֶם; וְהָיוּ לָכֶם לְפַח וּלְמוֹקֵשׁ, וּלְשֹׁטֵט בְּצִדֵּיכֶם וְלִצְנִנִים

(١) سفر التثنية ٧: ٣.

(٢) سفر عزرا: ٩: ١٢.

(٣) د. يس مزقول إسماعيل: العنصرية في المعتقد اليهودي، ص٦.

בְּעֵינֵיכֶם, עַד-אֲבָדְכֶם מֵעַל הָאֲדָמָה הַטּוֹבָה הַזֹּאת, אֲשֶׁר נָתַן לָכֶם יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם״.(١) الترجمة: "وَلكِنْ إِذَا رَجَعْتُمْ وَلَصِقْتُمْ بِبَقِيَّةِ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ، أُولئِكَ الْبَاقِينَ مَعَكُمْ، وَصَاهَرْتُمُوهُمْ وَدَخَلْتُمْ إِلَيْهِمْ وَهُمْ إِلَيْكُمْ، فَاعْلَمُوا يَقِينًا أَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ لاَ يَعُودُ يَطْرُدُ أُولئِكَ الشُّعُوبَ مِنْ أَمَامِكُمْ، فَيَكُونُوا لَكُمْ فَخًّا وَشَرَكًا وَسَوْطًا عَلَى جَوَانِبِكُمْ، وَشَوْكًا فِي أَعْيُنِكُمْ، حَتَّى تَبِيدُوا عَنْ تِلْكَ الأَرْضِ الصَّالِحَةِ الَّتِي أَعْطَاكُمْ إِيَّاهَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ".

وهنا نلاحظ تحذير الرب لهم من مخالطة الأغيار، "لقد وعدهم الرب بالأرض، فهو يطرد السكان فيها من أمامهم، لكن عليهم أن يتمسكوا بتنفيذ وصايا الله، التي علمها لهم موسى النبي، وكتبها في أسفاره. يجب عدم مخالطة الشعوب غير اليهودية التي سكنت الأرض قبلهم... بل يلتصقوا بالرب، كما هو حالهم أيام حياة يشوع معهم".(٢) كلها تحذيرات بعدم اختلاطهم بغير اليهود، وقد شددت التوراة في ذلك.

ويتجلى هذا المظهر – كذلك– في رد فعل إخوة يوسف –عليه السلام– إزاء موقف المصريين من بني إسرائيل، ذلك الموقف الإنساني الذي يعكس المروءة وكرم الضيافة والمحبة والاحترام ليعقوب النبي ويوسف – عليهما السلام–، وجميع بني إسرائيل.. حيث خيّر فرعون يوسف وأهله في اختيار المكان الذي يرغبون الإقامة والسكن فيه، وقد سجلت التوراة ذلك في سفر التكوين، فجاء فيه:

״ וַיֹּאמֶר פַּרְעֹה, אֶל-יוֹסֵף לֵאמֹר: אָבִיךָ וְאַחֶיךָ, בָּאוּ אֵלֶיךָ. אֶרֶץ מִצְרַיִם, לְפָנֶיךָ הִוא בְּמֵיטַב הָאָרֶץ, הוֹשֵׁב אֶת-אָבִיךָ וְאֶת-אַחֶיךָ: יֵשְׁבוּ, בְּאֶרֶץ גֹּשֶׁן--וְאִם-יָדַעְתָּ וְיֶשׁ-בָּם אַנְשֵׁי-חַיִל, וְשַׂמְתָּם שָׂרֵי מִקְנֶה עַל-אֲשֶׁר-לִי״.(٣) الترجمة: "فَكَلَّمَ فِرْعَوْنُ يُوسُفَ قَائِلًا: أَبُوكَ

(١) سفر يشوع: ٢٣: ١٢ – ١٣.

(٢) تفسير الكتاب المقدس:

https://st-takla.org/bible/commentary/ar/ot/church-encyclopedia/joshua/chapter-23.html#1

עיין גם: אלשבזי, שלום בן יוסף: חמדת ימים، מדרש על חמשה חומשי תורה- בית ספריית מורגנשטרן- ירושלים، בשנת התשט״ז עמ 298.

(٣) سفر التكوين: ٤٧: ٥– ٦.

وَإِخْوَتُكَ جَاءُوا إِلَيْكَ. أَرْضُ مِصْرَ أمامَكَ. أَسْكِنْ أَبَاكَ وَإِخْوَتَكَ فِي أَفْضَلِ الأَرْضِ، لِيَسْكُنُوا فِي أَرْضِ جَاسَانَ. وَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ يُوجَدُ بَيْنَهُمْ ذَوُو قُدْرَةٍ، فَاجْعَلْهُمْ رُؤَسَاءَ مَوَاشٍ عَلَى الَّتِي لِي".

وعلى الرغم من هذا التقدير والاحترام إلاّ أن بني إسرائيل، وكما ذكر كاتب سفر الخروج، جاء رد فعلهم بدافع من العنصرية، ورغبة في العزلة وعدم الاختلاط بهم، اختاروا أرضاً بعيدة جداً، ليعيشوا فيها؛ "منذ أن دخلوا مصر فضّلوا –بدافع من عنصريتهم وتعصّبهم– الانعزال عن المصريين وعدم الاختلاط معهم، فاختاروا أرض جاسان المستّقلة والبعيدة من أجل هذا الهدف. وعاشوا فيها بهناءٍ، فتكاثروا وأثمروا، وأمضوا أكثر من أربعمئة عام باطمئنان في ظّل الاحترام المصري. ولقد غدر بنو إسرائيل بالمصريين، وتجاهلوا كل هذا التكريم، الذي غمرهم به فرعون وشعبه، وجاءت هذه الأحكام العجيبة العظيمة، لتدفع بالمصريين إلى التهلكة، ويهرب بنو إسرائيل، بعد أن يسرقوا حلّي وأمتعة النساء المصريات باحتيال مدروس ومخطط له من الاله يهوه".[١] فجاء في سفر الخروج:

״ וּבְנֵי-יִשְׂרָאֵל עָשׂוּ, כִּדְבַר מֹשֶׁה; וַיִּשְׁאֲלוּ, מִמִּצְרַיִם, כְּלֵי-כֶסֶף וּכְלֵי זָהָב, וּשְׂמָלֹת. וַיהוָה נָתַן אֶת-חֵן הָעָם, בְּעֵינֵי מִצְרַיִם-- וַיַּשְׁאִלוּם; וַיְנַצְּלוּ, אֶת-מִצְרָיִם״.[٢] الترجمة: "وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. طَلَبُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا. وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عِيُونِ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى أَعَارُوهُمْ. فَسَلَبُوا الْمِصْرِيِّينَ".

وفي سفر إرميا أمثلة كثيرة، تؤكد النزعة العنصرية، ومساعدة الرب لهم، وتهديد الأغيار بالسبي والسلب والنهب، وتحذيره من الاندماج والاختلاط بغير اليهود، مؤكداً خصوصيتهم وقداستهم أمام الشعوب والأمم الأخرى، وأنه سوف يباركهم ويتوعد من يتسبب في مضايقتهم بالعقاب، فجاء فيه:

(١) علي خليل: اليهودية بين النظرية والتطبيق، ص ٥٠– ٥١.

(٢) سفر الخروج: ١٢: ٣٥ – ٣٦.

״לָכֵן כָּל-אֹכְלַיִךְ, יֵאָכֵלוּ, וְכָל-צָרַיִךְ כֻּלָּם, בַּשְּׁבִי יֵלֵכוּ; וְהָיוּ שֹׁאסַיִךְ לִמְשִׁסָּה, וְכָל-בֹּזְזַיִךְ אֶתֵּן לָבַז .כִּי אַעֲלֶה אֲרֻכָה לָךְ וּמִמַּכּוֹתַיִךְ אֶרְפָּאֵךְ, נְאֻם-יְהוָה: כִּי נִדָּחָה, קָרְאוּ לָךְ--צִיּוֹן הִיא, דֹּרֵשׁ אֵין לָהּ. כֹּה אָמַר יְהוָה, הִנְנִי-שֵׁב שְׁבוּת אָהֳלֵי יַעֲקוֹב, וּמִשְׁכְּנֹתָיו, אֲרַחֵם; וְנִבְנְתָה עִיר עַל-תִּלָּהּ, וְאַרְמוֹן עַל-מִשְׁפָּטוֹ יֵשֵׁב. וְיָצָא מֵהֶם תּוֹדָה, וְקוֹל מְשַׂחֲקִים; וְהִרְבֵּתִים וְלֹא יִמְעָטוּ, וְהִכְבַּדְתִּים וְלֹא יִצְעָרוּ. וְהָיוּ בָנָיו כְּקֶדֶם, וַעֲדָתוֹ לְפָנַי תִּכּוֹן; וּפָקַדְתִּי, עַל כָּל-לֹחֲצָיו״.(١)

الترجمة: "لِذلِكَ يُؤْكَلُ كُلُّ آكِلِيكِ، وَيَذْهَبُ كُلُّ أَعْدَائِكِ قَاطِبَةً إِلَى السَّبْيِ، وَيَكُونُ كُلُّ سَالِبِيكِ سَلْبًا، وَأَدْفَعُ كُلَّ نَاهِبِيكِ لِلنَّهْبِ. لأَنِّي أَرْفُدُكِ وَأَشْفِيكِ مِنْ جُرُوحِكِ، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّهُمْ قَدْ دَعَوْكِ مَنْفِيَّةً صِهْيَوْنَ الَّتِي لاَ سَائِلَ عَنْهَا. « هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هأَنَذَا أَرُدُّ سَبْيَ خِيَامِ يَعْقُوبَ، وَأَرْحَمُ مَسَاكِنَهُ، وَتُبْنَى الْمَدِينَةُ عَلَى تَلِّهَا، وَالْقَصْرُ يُسْكَنُ عَلَى عَادَتِهِ. وَيَخْرُجُ مِنْهُمُ الْحَمْدُ وَصَوْتُ اللاَّعِبِينَ، وَأُكَثِّرُهُمْ وَلاَ يَقِلُّونَ، وَأُعَظِّمُهُمْ وَلاَ يَصْغُرُونَ. وَيَكُونُ بَنُوهُمْ كَمَا فِي الْقَدِيمِ، وَجَمَاعَتُهُمْ تَثْبُتُ أَمَامِي، وَأُعَاقِبُ كُلَّ مُضَايِقِيهِمْ".

وتحرم المشنا التعامل مع غير اليهود والاختلاط بهم، فحرمت التعامل معهم قبل أعيادهم بثلاثة أيام وبعدها كذلك بثلاثة أيام، فجاء فيها:

״לִפְנֵי אֵידֵיהֶן שֶׁלַּגּוֹיִם שְׁלֹשָׁה יָמִים, אָסוּר מִלָּשֵׁאת וּמִלָּתֵת עִמָּהֶן, מִלְהַשְׁאִילָן וּמִלְהַשְׁאִיל עִמָּהֶן, מִלְהַלְווֹתָן וּמִלְּלְווֹת מֵהֶן, מִלְּפָרְעָן וּמִלִּפָּרַע מֵהֶן. רְבִּי יְהוּדָה אוֹמֵר: נִפְרָעִין מֵהֶן, מִפְּנֵי שֶׁהוּא מֵצֵר... רְבִּי יִשְׁמָעֵאל אוֹמֵר: שְׁלֹשָׁה לִפְנֵיהֶן וּשְׁלֹשָׁה לְאַחֲרֵיהֶן אָסוּר״.(٢)

الترجمة: "يحرم التعامل مع الجوييم (غير اليهود) قبل أعيادهم بثلاثة أيام، سواء لإعارتهم أشياء أو للاستعارة منهم، أو لإقراضهم أو الاقتراض

(١) سفر ارميا ٣٠: ١٦-٢٠.

(٢) ששה סדרי משנה, סדר נזיקין, מסכת עבודה זרה, פרק ראשון, משנה א- ב .

منهم، أو لتسديد (الدين لهم) أو للتحصيل منهم. يقول رابي يهودا: يحصل الدين منهم لأن ذلك يحزنهم.. يقول رابي إسماعيل: يحرم التعامل مع الجوييم (غير اليهود) ثلاثة أيام قبل أعيادهم وثلاثة أيام بعدها".(١)

وقد شددت التوراة المبالغة في عدم الاختلاط بغير اليهود، وتحريمهم، وعدم الشفقة عليهم، وتحذير اليهودي ألا يحنو على غير اليهودي، فجاء في سفر التثنية:

"כִּי יְבִיאֲךָ, יְהוָה אֱלֹהֶיךָ, אֶל- הָאָרֶץ, אֲשֶׁר-אַתָּה בָא-שָׁמָּה לְרִשְׁתָּהּ; וְנָשַׁל גּוֹיִם-רַבִּים מִפָּנֶיךָ הַחִתִּי וְהַגִּרְגָּשִׁי וְהָאֱמֹרִי וְהַכְּנַעֲנִי וְהַפְּרִזִּי, וְהַחִוִּי וְהַיְבוּסִי-שִׁבְעָה גוֹיִם, רַבִּים וַעֲצוּמִים מִמֶּךָּ .ב וּנְתָנָם יְהוָה אֱלֹהֶיךָ, לְפָנֶיךָ-וְהִכִּיתָם: הַחֲרֵם תַּחֲרִים אֹתָם, לֹא-תִכְרֹת לָהֶם בְּרִית וְלֹא תְחָנֵּם".(٢)

الترجمة: "مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ: الْحِثِّيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، سَبْعَ شُعُوبٍ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ. لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ".

ولهذا، فإنّ نظام التعليم اليهودي يرتكز على "تعريف الطفل في سّن الرابعة على هويته واسلافه، ويدّرب على الاحتراز من الأغيار وعدم مخالطتهم، وزرع فكرة القداسة والاختيار في عقله الباطن".(٣) هذا و"إنّ من يقرأ أسفار التوراة، يخلصُ إلى نتيجة مفادها، أنّ الغدر والخيانة والانحلال الخلقي، كانت من الثوابت التي سار عليها أسلاف اليهود

(١) منصور، د. مصطفى سيد عبد المعبود: ترجمة متن التلمود (المشنا)، القسم الرابع: نزيقين– الأضرار، تقديم: أ. د. محمد خليفة حسن، الطبعة الأولى، مكتبة النافذة، الجيزة، ٢٠٠٧م. المبحث الثامن: مبحث عفوداه زاراه –العبادة الوثنية–

(٢) سفر التثنية: ٧ : ١– ٢.

(٣) علي خليل: اليهودية بين النظرية والتطبيق، ص ٤٦.

اليوم، وهذه الثوابت جوهرية في الفكر الديني اليهودي. فقد بنيت اليهودية على مبدأ التوّجس من الأغيار والاستعلاء والعدوان والعنصرية. وهذه النزعات لا بدّ وأن تطبع الروح اليهودية بصفات الغدر والخيانة والانحلال الخلقي، فاليهودي يحقّ له أن يسرق.. لكن ليس يهودياً مثله، بل أي شخص من الأغيار، وكذلك الأمر بالنسبة للزنا والقتل والغدر والخيانة وغيرها.. من هذه الزاوية الضيّقة يتعامل اليهود مع الأغيار، إنّها ثوابت جوهرية من أصول الدين اليهودي المدّون في كتابي التوراة والتلمود، والذي يُدّرسُ في مدراس إسرائيل اليوم وفي المدارس الخاصّة لليهود في أماكن إقاماتهم في دول العالم . وعليه يتربى الأطفال اليهود، لتنمو في عقولهم الباطنة أفكار اللامساواة، والعدوان والغدر والتوّجس والاستعلاء والعنصرية".[١] وما يحدث في الواقع من قتل وعدوان وغدر وخيانة، وعنصرية، ليس سوى تطبيق عملي لذلك كله.

وفي قصة أبناء يعقوب مع شكيم، عندما أراد أن يصاهرهم ويتزوج ابنة يعقوب[٢]؛ حيث "اعتبر بنو إسرائيل مثل هذه المصاهرة تدنيسًا لهم، فشريعتهم ترفض الاختلاط بالشعوب، والمصاهرة اختلاطًا لن يقبلوا به. ونظراً لأنّهم كانوا غرباء عن المنطقة، وعددهم قليل، وليس بمقدورهم مجابهة سكان شكيم، إن حاولوا الاعتداء عليهم، ليمنعوا مثل هذه المصاهرة. فكان لا بدّ من الغدر والخيانة حتى يتمكّنوا من التخلّص من هذه المصاهرة (الاختلاط). مستغلّين طيبة وشجاعة حَمُورَ حاكم المنطقة وابنه شكيم".[٣] كل ذلك في سبيل عدم مخالطة غير اليهود.

(١) علي خليل، ص ١٠٤.

(٢) والقصة وردت في سفر التكوين الإصحاح ٣٤. وقد أشرنا إليها في مطلع المبحث الثالث.

(٣) علي خليل، ص ١٠٥.

المبحث الثالث

العنف والإرهاب مع غير اليهود

يعد العنف والإرهاب في التعاليم الدينية اليهودية في نصوص العهد القديم مظهراً من مظاهر العنصرية اليهودية، نتيجة لتمييز اليهود أنفسهم عن غيرهم، واعتقادهم بأنهم شعب الله المختار. فالمتصفح لنصوص التوراة يجد كثيراً من أعمال العنف والعدوان، ضد غير اليهود، بدعوى أنها أوامر إلهية، وتعاليم دينية، تصورها التوراة على أنها بطولات قام بها أسلافهم التزاماً بأوامر الرّب يهوه، وتتجلى فيها الروح العدوانية في السلوك والأفكار.

فنجد في سفر التكوين صورة من هذه الصور، التي تعكس هذا العنف، والذي يتمثل في اعتداء أبناء يعقوب –عليه السلام– على سكان منطقة شكيم، التي كانوا يسكنون فيها، ويحظون بكل احترام وتقدير من أهل هذه المنطقة المحبة ليعقوب وأولاده. فتحكي التوراة كيف أحبَّ "شكيم" ابن "حمور"، زعيم المنطقة "دينة" بنت "يعقوب" –عليه السلام–، وقد طلبها من أبيها للزواج، لكنّ أولاد يعقوب غدروا بـ "شكيم" وأبيه، وبسكان المنطقة جميعًا، بعد أن احتالوا عليهم، بمكرهم واستغلالهم الدين للانتقام بطريقة غير إنسانية. حيث طلب شمعون ولاوي من حمور أن يختتن هو وأبنه وكل رجال المدينة حتى يحق لهم الدخول معهم في مصاهرات، وبعد أن اختتنوا استل شمعون ولاوي سيفيهما وقتلوا كل المختونين. بل وقتلا كل ذكر –كما تذكر التوراة،–، ثم نهبوهم وسبوا نساءهم وأطفالهم وسلبوا أموالهم، تقول التوراة:

״ וַיְדַבֵּר חֲמוֹר, אִתָּם לֵאמֹר׃ שְׁכֶם בְּנִי, חָשְׁקָה נַפְשׁוֹ בְּבִתְּכֶם--תְּנוּ נָא אֹתָהּ לוֹ, לְאִשָּׁה. וְהִתְחַתְּנוּ, אֹתָנוּ׃ בְּנֹתֵיכֶם, תִּתְּנוּ-לָנוּ, וְאֶת-בְּנֹתֵינוּ, תִּקְחוּ לָכֶם... וּתְנוּ-לִי אֶת-הַנַּעֲרָה, לְאִשָּׁה. וַיַּעֲנוּ בְנֵי-יַעֲקֹב אֶת-שְׁכֶם וְאֶת-חֲמוֹר אָבִיו, בְּמִרְמָה--וַיְדַבֵּרוּ׃ אֲשֶׁר טִמֵּא, אֵת דִּינָה אֲחֹתָם. וַיֹּאמְרוּ אֲלֵיהֶם, לֹא נוּכַל לַעֲשׂוֹת הַדָּבָר הַזֶּה--לָתֵת אֶת-אֲחֹתֵנוּ, לְאִישׁ אֲשֶׁר-לוֹ עָרְלָה׃ כִּי-חֶרְפָּה הִוא, לָנוּ. אַךְ-בְּזֹאת, נֵאוֹת לָכֶם׃ אִם תִּהְיוּ כָמֹנוּ, לְהִמּוֹל לָכֶם כָּל-זָכָר. וְנָתַנּוּ אֶת-בְּנֹתֵינוּ לָכֶם, וְאֶת-בְּנֹתֵיכֶם נִקַּח-לָנוּ; וְיָשַׁבְנוּ אִתְּכֶם, וְהָיִינוּ לְעַם אֶחָד... וַיִּמֹּלוּ,

כָּל-זָכָר--כָּל-יֹצְאֵי, שַׁעַר עִירוֹ. וַיְהִי בַּיּוֹם הַשְּׁלִישִׁי בִּהְיוֹתָם כֹּאֲבִים, וַיִּקְחוּ שְׁנֵי-בְנֵי-יַעֲקֹב שִׁמְעוֹן וְלֵוִי אֲחֵי דִינָה אִישׁ חַרְבּוֹ, וַיָּבֹאוּ עַל-הָעִיר, בֶּטַח; וַיַּהַרְגוּ, כָּל-זָכָר. וְאֶת-חֲמוֹר וְאֶת-שְׁכֶם בְּנוֹ, הָרְגוּ לְפִי-חָרֶב; וַיִּקְחוּ אֶת-דִּינָה מִבֵּית שְׁכֶם, וַיֵּצֵאוּ. בְּנֵי יַעֲקֹב, בָּאוּ עַל-הַחֲלָלִים, וַיָּבֹזּוּ, הָעִיר--אֲשֶׁר טִמְּאוּ, אֲחוֹתָם. אֶת-צֹאנָם וְאֶת-בְּקָרָם, וְאֶת-חֲמֹרֵיהֶם, וְאֵת אֲשֶׁר-בָּעִיר וְאֶת-אֲשֶׁר בַּשָּׂדֶה, לָקָחוּ. וְאֶת-כָּל-חֵילָם וְאֶת-כָּל-טַפָּם וְאֶת-נְשֵׁיהֶם, שָׁבוּ וַיָּבֹזּוּ; וְאֵת, כָּל-אֲשֶׁר בַּבָּיִת״.(١)

الترجمة: "وَتَكَلَّمَ حَمُورُ مَعَهُمَ قَائِلًا: « شَكِيمُ ابْنِي قَدْ تَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِابْنَتِكُمْ. أَعْطُوهُ إِيَّاهَا زَوْجَةً، وَصَاهِرُونَا. تُعْطُونَنَا بَنَاتِكُمْ، وَتَأْخُذُونَ لَكُمْ بَنَاتِنَا (...) وَأَعْطُونِي الْفَتَاةَ زَوْجَةً. فَأَجَابَ بَنُو يَعْقُوبَ شَكِيمَ وَحَمُورَ أَبَاهُ بِمَكْرٍ وَتَكَلَّمُوا. لأَنَّهُ كَانَ قَدْ نَجَّسَ دِينَةَ أُخْتَهُمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: «لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ هذَا الأَمْرَ أَنْ نُعْطِيَ أُخْتَنَا لِرَجُل أَغْلَفَ، لأَنَّهُ عَارٌ لَنَا. غَيْرَ أَنَّنَا بِهذَا نُوَاتِيكُمْ: إِنْ صِرْتُمْ مِثْلَنَا بِخَتْنِكُمْ كُلَّ ذَكَرٍ. نُعْطِيكُمْ بَنَاتِنَا وَنَأْخُذُ لَنَا بَنَاتِكُمْ، وَنَسْكُنُ مَعَكُمْ وَنَصِيرُ شَعْبًا وَاحِدًا (...) وَاخْتَتَنَ كُلُّ ذَكَرٍ، كُلُّ الْخَارِجِينَ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ. فَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِذْ كَانُوا مُتَوَجِّعِينَ أَنَّ ابْنَيْ يَعْقُوبَ، شِمْعُونَ وَلاَوِيَ أَخَوَيْ دِينَةَ، أَخَذَا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ وَأَتَيَا عَلَى الْمَدِينَةِ بِأَمْنٍ وَقَتَلاَ كُلَّ ذَكَرٍ. وَقَتَلاَ حَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَأَخَذَا دِينَةَ مِنْ بَيْتِ شَكِيمَ وَخَرَجَا. ثُمَّ أَتَى بَنُو يَعْقُوبَ عَلَى الْقَتْلَى وَنَهَبُوا الْمَدِينَةَ، لأَنَّهُمْ نَجَّسُوا أُخْتَهُمْ. غَنَمَهُمْ وَبَقَرَهُمْ وَحَمِيرَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ وَمَا فِي الْحَقْلِ أَخَذُوهُ. وَسَبَوْا وَنَهَبُوا كُلَّ ثَرْوَتِهِمْ وَكُلَّ أَطْفَالِهِمْ، وَنِسَاءَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْبُيُوتِ".

تعكس هذه القصة جريمة وحشية –بلا شك– أزعجت نفس يعقوب وكدرته، إذ خاف لئلا تجتمع الأمم المجاورة معًا وتنتقم لأهل شكيم، خاصة وأنه غريب ويمثل نفرًا قليلًا. فَقَالَ يَعْقُوبُ لِشَمْعُونَ وَلاَوِي: «كَدَّرْتُمَانِي بِتَكْرِيهِكُمَا إِيَّايَ عِنْدَ سُكَّانِ الأَرْضِ

(١) سفر التكوين: ٣٤: ٨–١٠، ١٢–١٦، ٢٤– ٢٩.

الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ، وَأَنَا نَفَرٌ قَلِيلٌ. فَيَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ وَيَضْرِبُونَنِي، فَأَبِيدُ أَنَا وَبَيْتِي».[١] والنصوص التي تحض على العنف والإرهاب في التوراة كثيرة جداً، وكذلك التعبيرات الدالة على سفك الدماء، والإبادة، وقتل الأبرياء، والأطفال، والنساء، ومنها مثلاً ما جاء في سفر التثنية، عن إبادة شعب بأكمله:

״עַם גָּדוֹל וְרַב וָרָם, כָּעֲנָקִים; **וַיַּשְׁמִידֵם יְהוָה** מִפְּנֵיהֶם, וַיִּירָשֵׁם וַיֵּשְׁבוּ תַּחְתָּם״.[٢] الترجمة: "شَعْبٌ كَبِيرٌ وَكَثِيرٌ وَطَوِيلٌ كَالْعَنَاقِيِّينَ، **أَبَادَهُمُ الرَّبُّ** مِنْ أَمامِهِمْ، فَطَرَدُوهُمْ وَسَكَنُوا مَكَانَهُمْ".

ففي هذه الفقرة بيان أن الرب في مقابل شعبه وتمكينه يبيد شعوبا كاملة، ويورثهم أرضهم ومكانهم، فهم متميزون عنده، أما غيرهم فهم ليسوا سوى أشراراً. "فالرب يحفظ شعبه كما يحفظ كل محبيه ويهلك كل الأشرار".[٣] وفي سفر التثنية أيضاً:

وفي سفر حزقيال، نجد الأمر بممارسة العنف وعدم الشفقة، فقد صدر الأمر الإلهي بالتأديب، والضرب والنهي عن الشفقة والعفو، لا فرق بين الشاب والشيخ، والأطفال والنساء، فنجد فيه:

״וּלְאֵלֶּה אָמַר בְּאָזְנָי, עִבְרוּ בָעִיר אַחֲרָיו וְהַכּוּ: עַל- (אַל-) תָּח�ס עֵינֵיכֶם (עֵינְכֶם), וְאַל-תַּחְמֹלוּ. זָקֵן בָּחוּר וּבְתוּלָה וְטַף וְנָשִׁים תַּהַרְגוּ לְמַשְׁחִית, וְעַל-כָּל-אִישׁ אֲשֶׁר-עָלָיו הַתָּו אַל-תִּגָּשׁוּ, וּמִמִּקְדָּשִׁי, תָּחֵלּוּ; וַיָּחֵלּוּ בָּאֲנָשִׁים הַזְּקֵנִים, אֲשֶׁר לִפְנֵי הַבָּיִת. וַיֹּאמֶר אֲלֵיהֶם טַמְּאוּ אֶת-הַבַּיִת, וּמַלְאוּ אֶת-הַחֲצֵרוֹת חֲלָלִים--צְאוּ; וְיָצְאוּ, וְהִכּוּ בָּעִיר״.[٤] الترجمة: "وَقَالَ لأُولئِكَ فِي سَمْعِي: «اعْبُرُوا فِي الْمَدِينَةِ وَرَاءَهُ وَاضْرِبُوا. لاَ تُشْفُقْ أَعْيُنُكُمْ وَلاَ تَعْفُوا. اَلشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ، اقْتُلُوا لِلْهَلاَكِ. وَلاَ تَقْرُبُوا مِنْ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ السِّمَةُ، وَابْتَدِئُوا مِنْ مَقْدِسِي». فَابْتَدَأُوا بِالرِّجَالِ الشُّيُوخِ الَّذِينَ أَمَامَ

(١) سفر التكوين ٣٤: ٣٠.

(٢) سفر التثنية: ٢: ٢١.

(٣) ספר קרובות הוא מחזור ליום כפור– לבני אשכנז והנוהגים מנהגם - רעד להיים שנת תקצ״ב، עמ' 273.

(٤) سفر حزقيال: ٩: ٥–٧.

الْبَيْتِ. وَقَالَ لَهُمْ: «نَجِّسُوا الْبَيْتَ، وَامْلأُوا الدُّورَ قَتْلَى. اخْرُجُوا». فَخَرَجُوا وَقَتَلُوا فِي الْمَدِينَةِ".

وفي سفر التثنية أيضاً، يأتي الأمر بإبادة أمم وشعوب كاملة، والأمر بضرب جميع الذكور بحد السيف، وسبي الأطفال والنساء، بدعوى أن هذا أمر إلهي، فتقول التوراة:

״כִּי-תִקְרַב אֶל-עִיר, לְהִלָּחֶם עָלֶיהָ--וְקָרָאתָ אֵלֶיהָ, לְשָׁלוֹם. וְהָיָה אִם-שָׁלוֹם תַּעֲנְךָ, וּפָתְחָה לָךְ: וְהָיָה כָּל-הָעָם הַנִּמְצָא-בָהּ, יִהְיוּ לְךָ לָמַס—וַעֲבָדוּךָ. וְאִם-לֹא תַשְׁלִים עִמָּךְ, וְעָשְׂתָה עִמְּךָ מִלְחָמָה--וְצַרְתָּ, עָלֶיהָ. וּנְתָנָהּ יְהוָה אֱלֹהֶיךָ, בְּיָדֶךָ; וְהִכִּיתָ אֶת-כָּל-זְכוּרָהּ, לְפִי-חָרֶב. רַק הַנָּשִׁים וְהַטַּף וְהַבְּהֵמָה וְכֹל אֲשֶׁר יִהְיֶה בָּעִיר, כָּל-שְׁלָלָהּ--תָּבֹז לָךְ; וְאָכַלְתָּ אֶת-שְׁלַל אֹיְבֶיךָ, אֲשֶׁר נָתַן יְהוָה אֱלֹהֶיךָ לָךְ. כֵּן תַּעֲשֶׂה לְכָל-הֶעָרִים, הָרְחֹקֹת מִמְּךָ מְאֹד, אֲשֶׁר לֹא-מֵעָרֵי הַגּוֹיִם-הָאֵלֶּה, הֵנָּה. רַק, מֵעָרֵי הָעַמִּים הָאֵלֶּה, אֲשֶׁר יְהוָה אֱלֹהֶיךָ, נֹתֵן לְךָ נַחֲלָה--לֹא תְחַיֶּה, כָּל-נְשָׁמָה. כִּי-הַחֲרֵם תַּחֲרִימֵם, הַחִתִּי וְהָאֱמֹרִי הַכְּנַעֲנִי וְהַפְּרִזִּי, הַחִוִּי, וְהַיְבוּסִי--כַּאֲשֶׁר צִוְּךָ, יְהוָה אֱלֹהֶיךָ״.(١)

الترجمة: "حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هؤُلاَءِ الأُمَمِ هُنَا. وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا، بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا: الْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ".

(١) سفر التثنية ٢٠: ١٠ – ١٧.

اختلف المفسِّرون في شرح هذه الفقرات، فـ "يرى البعض أنَّها تنطبق على البلاد المجاورة لأرض الميعاد، ولا تنطبق على الأمم السبع التي في كنعان. وعلَّة هذا أن بقاء أيَّة بقيَّة من الأمم السبع وسط الشعب يكون عثرة لهم، ويجذبونهم إلى عبادة الآلهة الوثنيَّة وممارسة الرجاسات. ويرى آخرون، أنها تنطبق على هذه الأمم أيضًا، حيث تكون شروط الصلح هي:

١. جحد العبادة الوثنيَّة والدخول إلى عبادة الله.

٢. الخضوع لليهود.

٣. دفع جزية سنويَّة.

ومن لا يقبل هذه الشروط، لا يبقون في مدينتهم كائنًا حيًا، متى كانت من الأمم السبع، أمَّا إذا كانت من المدن المجاورة؛ فيقتل الرجال، ويستبقى النساء والأطفال مع الحيوانات وكل غنائمها. أمَّا سبب التمييز فهو ألا يترك أي أثر في وسط الشعب للعبادة الوثنيَّة".[١] كما نجد الأمر باستعمال السيف، بأمر الرب، وذلك في سفر حزقيال، وتجدر الإشارة إلى أنه قد وردت كلمة "السيف" "**חרב**" في التوراة أكثر من ثلاثمائة مرة.[٢] فجاء في حزقيال:

״חֶרֶב, יֶרֶאתֶם; וְחֶרֶב אָבִיא עֲלֵיכֶם, נְאֻם אֲדֹנָי יְהוִה. וְהוֹצֵאתִי אֶתְכֶם מִתּוֹכָהּ, וְנָתַתִּי אֶתְכֶם בְּיַד-זָרִים; וְעָשִׂיתִי בָכֶם, שְׁפָטִים. בַּחֶרֶב תִּפֹּלוּ, עַל-גְּבוּל יִשְׂרָאֵל אֶשְׁפּוֹט אֶתְכֶם; וִידַעְתֶּם, כִּי-אֲנִי יְהוָה״.[٣] الترجمة: "قَدْ فَزِعْتُمْ مِنَ السَّيْفِ، فَالسَّيْفُ أَجْلِبُهُ عَلَيْكُمْ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَأُخْرِجُكُمْ مِنْ وَسْطِهَا وَأُسَلِّمُكُمْ إِلَى أَيْدِي الْغُرَبَاءِ، وَأُجْرِي فِيكُمْ أَحْكَامًا. بِالسَّيْفِ تَسْقُطُونَ. فِي تُخْمِ إِسْرَائِيلَ أَقْضِي عَلَيْكُمْ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ".

---

(١) تفسير الكتاب المقدس –العهد القديم– سلسلة "من تفسير وتأملات الآباء الأولين"، القانون العسكري، الموقع التالي، (متاح في: ٢٣/ ١١/ ٢٠٢١– ١١:١٦م):
https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/05-Sefr-El-Tathneya/Tafseer-Sefr-El-Tathnia__01-Chapter-20.html#1

(٢) אבן שושן : קונקורדנציה חדשה، ע' חרב, עמ' 395- 396 .

(٣) سفر حزقيال: ١١: ٨– ١٠.

ويصور سفر القضاة، كيف حارب يهوذا الكنعانيين وسكان الأرض الأصليين، فانتصر عليهم هو ومن معه، وقتلوا منهم عشرة آلاف رجل، ثم يوضح كاتب السفر كيف استولى بنو يهوذا على أورشليم ، وضربوا بمن فيها بحد السيف، وأحرقوها بالنار، فأي عنف بعد ذلك:

"וַיַּעַל יְהוּדָה, וַיִּתֵּן יְהוָה אֶת-הַכְּנַעֲנִי וְהַפְּרִזִּי בְּיָדָם; וַיַּכּוּם בְּבֶזֶק, עֲשֶׂרֶת אֲלָפִים אִישׁ (...) וַיִּלָּחֲמוּ בְּנֵי-יְהוּדָה, בִּירוּשָׁלַם, וַיִּלְכְּדוּ אוֹתָהּ, וַיַּכּוּהָ לְפִי-חָרֶב; וְאֶת-הָעִיר, שִׁלְּחוּ בָאֵשׁ".[١] الترجمة: "فَصَعِدَ يَهُوذَا، وَدَفَعَ الرَّبُّ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ بِيَدِهِمْ، فَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي بَازَقَ عَشَرَةَ آلاَفِ رَجُل (...) وَحَارَبَ بَنُو يَهُوذَا أُورُشَلِيمَ وَأَخَذُوهَا وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَأَشْعَلُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ".

وفي سفر إشعياء يصور كاتب السفر صورة أخرى، حول العنف والعدوانية في قتل الأطفال، بعد قتل الرجال، فمَن يوجد منهم يُطعن بالسيف، بعد الاعتداء على نسائهم، تحطم أطفالهم أمام عيونهم ونهب بيوتهم، فجاء فيه:

"כָּל-הַנִּמְצָא, יִדָּקֵר;... יִפּוֹל בֶּחָרֶב. וְעֹלְלֵיהֶם יְרֻטָּשׁוּ, לְעֵינֵיהֶם; יִשַּׁסּוּ, בָּתֵּיהֶם, וּנְשֵׁיהֶם, תשגלנה (תִּשָּׁכַבְנָה)".[٢] الترجمة: "كُلُّ مَنْ وُجِدَ يُطْعَنُ،... يَسْقُطُ بِالسَّيْفِ. وَتُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ أَمَامَ عُيُونِهِمْ، وَتُنْهَبُ بُيُوتُهُمْ وَتُفْضَحُ نِسَاؤُهُمْ".

ثم نجد تحريضاً واضحاً من إله بني إسرائيل بالقتل؛ وأنه ملعون من لم يفعل ذلك، ملعون مَن يمنع سيفه عن الدم، وعليه فإن ما يقوم به الكيان الصهيوني من ممارسات إرهابية تنفيذاً لهذه التعاليم، فجاء في سفر إرميا :

(١) سفر القضاة: ١: ٤ ، ٨.

(٢) سفر إشعياء: ١٣: ١٥ – ١٦. وتكرر ذلك أيضا في (سفر هوشع ١٣: ١٦): "بِالسَّيْفِ يَسْقُطُونَ. تُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ، وَالْحَوَامِلُ تُشَقُّ".

" וְאָרוּר, מֹנֵעַ חַרְבּוֹ מִדָּם " .[١] أي: "وَمَلْعُونٌ مَنْ يَمْنَعُ سَيْفَهُ عَنِ الدَّمِ".

في هذه الفقرة، "ينادي الله جيش بابل؛ حتى يقتلوا الموآبيين، ويعملوا على تدمير موآب بكل حماس ونشاط، فلا يتراخى البابليون عن قتل الموآبيين بالسيف، ويعد تدمير موآب هو عمل الرب، لأنهم أغاظوه بشهواتهم الشريرة فهو يؤدبهم بيد بابل".[٢] وقد سبق في نفس السفر، تجسيد لهذه العنصرية المتمثلة في أن الرب سيجعل جثث غير اليهود أكلا للطيور والوحوش، وأنه سوف يحاصرهم ويضيّق عليهم لدرجة أنهم يطعمون لحم بنيهم وبناتهم، ويأكل كل واحد لحم صاحبه، فجاء في سفر ارميا:

"...וְהִפַּלְתִּים בַּחֶרֶב... וְנָתַתִּי אֶת-נִבְלָתָם לְמַאֲכָל, לְעוֹף הַשָּׁמַיִם וּלְבֶהֱמַת הָאָרֶץ... וְהַאֲכַלְתִּים אֶת-בְּשַׂר בְּנֵיהֶם, וְאֵת בְּשַׂר בְּנֹתֵיהֶם, וְאִישׁ בְּשַׂר-רֵעֵהוּ, יֹאכֵלוּ; בְּמָצוֹר, וּבְמָצוֹק, אֲשֶׁר יָצִיקוּ לָהֶם אֹיְבֵיהֶם, וּמְבַקְשֵׁי נַפְשָׁם".[٣]

الترجمة: "وَأَجْعَلُهُمْ يَسْقُطُونَ بِالسَّيْفِ... وَأَجْعَلُ جُثَثَهُمْ أُكْلًا لِطُيُورِ السَّمَاءِ وَلِوُحُوشِ الأَرْضِ... وَأُطْعِمُهُمْ لَحْمَ بَنِيهِمْ وَلَحْمَ بَنَاتِهِمْ، فَيَأْكُلُونَ كُلُّ وَاحِدٍ لَحْمَ صَاحِبِهِ فِي الْحِصَارِ وَالضِّيقِ الَّذِي يُضَايِقُهُمْ بِهِ أَعْدَاؤُهُمْ وَطَالِبُو نُفُوسِهِمْ".

وفي سفر العدد يذكر كاتب السفر عن غزو "مديان"، والمجزرة التي ارتكبها أتباع موسى –عليه السلام– في هذه المنطقة، والتي يعدّها كاتب السفر بطولات وواجب ديني، تنفيذاً لأوامر الإله، المنطوية على قتل كل ذكر، وسبي النساء والأطفال، بل وقتل النساء وكل ذكر من الأطفال، ونهب كل أملاكهم، وليس هذا فحسب، وإنما حرق كل مساكنهم، فجاء فيه:

---

(١) سفر إرميا: ٤٨: ١٠.

(٢) تفسير الكتاب المقدس:
https://st-takla.org/bible/commentary/ar/ot/church-encyclopedia/jeremiah/chapter-48.html#10

(٣) سفر إرميا: ١٩/ ٧، ٩. وقد تكرر ذلك أكثر من مرة في نفس السفر (٧: ٣٣؛ ١٦: ٤؛ ٣٤: ٢٠)، وكذلك في (تثنية: ٢٨: ٢٦)

" וַיִּצְבְּאוּ, עַל-מִדְיָן, כַּאֲשֶׁר צִוָּה יְהוָה, אֶת-מֹשֶׁה; וַיַּהַרְגוּ, כָּל-זָכָר. וְאֶת-מַלְכֵי מִדְיָן הָרְגוּ עַל-חַלְלֵיהֶם, אֶת-אֱוִי וְאֶת-רֶקֶם וְאֶת-צוּר וְאֶת-חוּר וְאֶת-רֶבַע--חֲמֵשֶׁת, מַלְכֵי מִדְיָן; וְאֵת בִּלְעָם בֶּן-בְּעוֹר, הָרְגוּ בֶּחָרֶב. וַיִּשְׁבּוּ בְנֵי-יִשְׂרָאֵל אֶת-נְשֵׁי מִדְיָן, וְאֶת-טַפָּם; וְאֵת כָּל-בְּהֶמְתָּם וְאֶת-כָּל-מִקְנֵהֶם וְאֶת-כָּל-חֵילָם, בָּזָזוּ. וְאֵת כָּל-עָרֵיהֶם בְּמוֹשְׁבֹתָם, וְאֵת כָּל-טִירֹתָם--שָׂרְפוּ, בָּאֵשׁ. וַיִּקְחוּ, אֶת-כָּל-הַשָּׁלָל, וְאֵת, כָּל-הַמַּלְקוֹחַ--בָּאָדָם, וּבַבְּהֵמָה. וַיָּבִאוּ אֶל-מֹשֶׁה וְאֶל-אֶלְעָזָר הַכֹּהֵן וְאֶל-עֲדַת בְּנֵי-יִשְׂרָאֵל, אֶת-הַשִּׁבְי וְאֶת-הַמַּלְקוֹחַ וְאֶת-הַשָּׁלָל-אֶל-הַמַּחֲנֶה .... וְעַתָּה, הִרְגוּ כָל-זָכָר בַּטָּף; וְכָל-אִשָּׁה...״.(١)

الترجمة: "فَتَجَنَّدُوا عَلَى مِدْيَانَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَرٍ. وَمُلُوكُ مِدْيَانَ قَتَلُوهُمْ فَوْقَ قَتْلاَهُمْ... وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مِدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ، وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ وَكُلَّ أَمْلاَكِهِمْ. وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مُدُنِهِمْ بِمَسَاكِنِهِمْ، وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ بِالنَّارِ. وَأَخَذُوا كُلَّ الْغَنِيمَةِ وَكُلَّ النَّهْبِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، وَأَتَوْا إِلَى مُوسَى وَأَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ وَإِلَى جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ وَالْغَنِيمَةِ ..... فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ...".

وجاء في سفر يشوع، أمر إبادة شامل، بالقضاء على كل مَنْ في المدينة، رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخًا، حتى البقر والغنم والحمير، فنجد فيه:

״כָּל-אֲשֶׁר בָּעִיר, מֵאִישׁ וְעַד-אִשָּׁה, מִנַּעַר וְעַד-זָקֵן; וְעַד שׁוֹר וָשֶׂה וַחֲמוֹר, לְפִי-חָרֶב״.(٢) أي: "كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْل وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ".

وفي سفر يشوع أيضاً، نجد صورة بربرية وحشية، حيث يصور كاتب السفر أن الله يأمر يشوع بذبح الأطفال والنساء، بل والشيوخ، وحرق المدن والديار، وقتل الحيوانات، فجاء فيه:

(١) سفر العدد: ٣١: ٧ – ١٧.

(٢) سفر يشوع: ٦: ٢١.

"וַיָּבֹאוּ הָעִיר, וַיִּלְכְּדוּהָ; וַיְמַהֲרוּ, וַיַּצִּיתוּ אֶת-הָעִיר בָּאֵשׁ . ... וַיַּכּוּ אוֹתָם, עַד-בְּלְתִּי הִשְׁאִיר-לוֹ שָׂרִיד וּפָלִיט. וְאֶת-מֶלֶךְ הָעַי, תָּפְשׂוּ חָי; וַיַּקְרִבוּ אֹתוֹ, אֶל-יְהוֹשֻׁעַ . וַיְהִי כְּכַלּוֹת יִשְׂרָאֵל לַהֲרֹג אֶת-כָּל-יֹשְׁבֵי הָעַי בַּשָּׂדֶה, בַּמִּדְבָּר אֲשֶׁר רָדָפוּם בּוֹ, וַיִּפְּלוּ כֻלָּם לְפִי-חָרֶב, עַד-תֻּמָּם; וַיָּשֻׁבוּ כָל-יִשְׂרָאֵל הָעַי, וַיַּכּוּ אֹתָהּ לְפִי-חָרֶב . וַיְהִי כָּל-הַנֹּפְלִים בַּיּוֹם הַהוּא, מֵאִישׁ וְעַד-אִשָּׁה--שְׁנֵים עָשָׂר, אָלֶף: כֹּל, אַנְשֵׁי הָעָי ... רַק הַבְּהֵמָה, וּשְׁלַל הָעִיר הַהִיא, בָּזְזוּ לָהֶם, יִשְׂרָאֵל--כִּדְבַר יְהוָה, אֲשֶׁר צִוָּה אֶת-יְהוֹשֻׁעַ. וַיִּשְׂרֹף יְהוֹשֻׁעַ, אֶת-הָעָי; וַיְשִׂימֶהָ תֵּל-עוֹלָם שְׁמָמָה, עַד הַיּוֹם הַזֶּה.(١)

الترجمة: "وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ وَأَخَذُوهَا، وَأَسْرَعُوا وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ... وَضَرَبُوهُمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ شَارِدٌ وَلاَ مُنْفَلِتٌ. وَأَمَّا مَلِكُ عَايٍ فَأَمْسَكُوهُ حَيًّا وَتَقَدَّمُوا بِهِ إِلَى يَشُوعَ. وَكَانَ لَمَّا انْتَهَى إِسْرَائِيلُ مِنْ قَتْلِ جَمِيعِ سُكَّانِ عَايٍ فِي الْحَقْلِ فِي الْبَرِّيَّةِ حَيْثُ لَحِقُوهُمْ وَسَقَطُوا جَمِيعًا بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى فَنُوا، أَنَّ جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ رَجَعَ إِلَى عَايٍ وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. فَكَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ سَقَطُوا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مِنْ رِجَال وَنِسَاءٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا جَمِيعُ أَهْلِ عَايٍ... لكِنِ الْبَهَائِمُ وَغَنِيمَةُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ نَهَبَهَا إِسْرَائِيلُ لأَنْفُسِهِمْ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ يَشُوعَ. وَأَحْرَقَ يَشُوعُ عَايَ وَجَعَلَهَا تَلاًّ أَبَدِيًّا خَرَابًا إِلَى هذَا الْيَوْمِ".

ويتكرر الأمر بـ "الضرب بحد السيف" في سفر يشوع عدة مرات، أمر بالقضاء على مدن بكاملها، وعدم الإبقاء على كل شارد فيها، بمنتهى الوحشية، فنجد:

" וְאֶת-מַקֵּדָה לָכַד יְהוֹשֻׁעַ בַּיּוֹם הַהוּא, וַיַּכֶּהָ לְפִי-חָרֶב וְאֶת-מַלְכָּהּ-הֶחֱרִם אוֹתָם וְאֶת-כָּל-הַנֶּפֶשׁ אֲשֶׁר-בָּהּ, לֹא הִשְׁאִיר שָׂרִיד; וַיַּעַשׂ לְמֶלֶךְ מַקֵּדָה, כַּאֲשֶׁר עָשָׂה לְמֶלֶךְ יְרִיחוֹ... וַיַּכֶּה יְהוֹשֻׁעַ אֶת כָּל-הָאָרֶץ הָהָר וְהַנֶּגֶב וְהַשְּׁפֵלָה וְהָאֲשֵׁדוֹת, וְאֵת כָּל-מַלְכֵיהֶם--לֹא

(١) سفر يشوع: ٨: ١٩، ٢٢–٢٥ ، ٢٧–٢٨.

הִשְׁאִיר, שָׂרִיד ; וְאֵת כָּל-הַנְּשָׁמָה, הֶחֱרִים, כַּאֲשֶׁר צִוָּה, יְהוָה אֱלֹהֵי יִשְׂרָאֵל״.(١)

الترجمة: "وَأَخَذَ يَشُوعُ مَقِّيدَةَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ وَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَحَرَّمَ مَلِكَهَا هُوَ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا، وَفَعَلَ بِمَلِكِ مَقِّيدَةَ كَمَا فَعَلَ بِمَلِكِ أَرِيحَا..... فَضَرَبَ يَشُوعُ كُلَّ أَرْضِ الْجَبَلِ وَالْجَنُوبِ وَالسَّهْلِ وَالسُّفُوحِ وَكُلَّ مُلُوكِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا، بَلْ حَرَّمَ كُلَّ نَسَمَةٍ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ".

كل هذه الأفعال غير الإنسانية؛ من قتل وحرق وإبادة شاملة، صورتها التوراة بأدق تفاصيلها، جاءت كل هذا الأفعال بأمر الرب، إله إسرائيل، كما هو واضح من النصوص. وفي موضع آخر من نفس السفر أيضاً، وتنفيذا لأمر الرب، يذكر كاتب السفر كيف أن الرب يأمر يشوع بالقتل والذبح والحرق والإبادة الشاملة، لكل ما هو غير يهودي، وكأن ما ورد في الإصحاحات السابقة لم يكن كذلك، فنجد فيه:

"וַיַּעַשׂ לָהֶם יְהוֹשֻׁעַ, כַּאֲשֶׁר אָמַר-לוֹ יְהוָה: אֶת-סוּסֵיהֶם עִקֵּר, וְאֶת-מַרְכְּבֹתֵיהֶם שָׂרַף בָּאֵשׁ. וַיָּשָׁב יְהוֹשֻׁעַ בָּעֵת הַהִיא, וַיִּלְכֹּד אֶת-חָצוֹר, וְאֶת-מַלְכָּהּ, הִכָּה בֶחָרֶב: כִּי-חָצוֹר לְפָנִים--הִיא, רֹאשׁ כָּל-הַמַּמְלָכוֹת הָאֵלֶּה. וַיַּכּוּ אֶת-כָּל-הַנֶּפֶשׁ אֲשֶׁר-בָּהּ לְפִי-חָרֶב, הַחֲרֵם--לֹא נוֹתַר, כָּל-נְשָׁמָה ; וְאֶת-חָצוֹר, שָׂרַף בָּאֵשׁ. וְאֶת-כָּל-עָרֵי הַמְּלָכִים-הָאֵלֶּה וְאֶת-כָּל-מַלְכֵיהֶם לָכַד יְהוֹשֻׁעַ, וַיַּכֵּם לְפִי-חָרֶב--הֶחֱרִים אוֹתָם: כַּאֲשֶׁר צִוָּה, מֹשֶׁה עֶבֶד יְהוָה.״.(٢)

الترجمة: "فَفَعَلَ يَشُوعُ بِهِمْ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ. عَرْقَبَ خَيْلَهُمْ، وَأَحْرَقَ مَرْكَبَاتِهِمْ بِالنَّارِ. ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ وَأَخَذَ حَاصُورَ وَضَرَبَ مَلِكَهَا بِالسَّيْفِ، لأَنَّ حَاصُورَ كَانَتْ قَبْلًا رَأْسَ جَمِيعِ تِلْكَ الْمَمَالِكِ. وَضَرَبُوا كُلَّ نَفْسٍ بِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمُوهُمْ، وَلَمْ تَبْقَ نَسَمَةٌ، وَأَحْرَقَ حَاصُورَ بِالنَّارِ. فَأَخَذَ يَشُوعُ كُلَّ

(١) سفر يشوع: ١٠: ٢٨– ٤٠.

(٢) نفسه، يشوع: ١١: ٩– ١٢.

مُدُنِ أُولئِكَ الْمُلُوكِ وَجَمِيعَ مُلُوكِهَا وَضَرَبَهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمَهُمْ كَمَا أَمَرَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ".

أي تعاليم تلك التي تعارض أدنى مبادئ الإنسانية، تعاليم كلها عنف وقتل وحرق، وسفك دماء الرجال والأطفال والنساء وهدم الحجر وحرق الشجر..! كل ما يتعلق بغير اليهود، فتبيح اليهودية كل هذه الأفعال تجاهه.. لدرجة أن دوَّنوا نصَّاً في التلمود، يقول: "اقتل الصالح من غير الإسرائيليين, وحرامٌ على اليهودي أن يُنجِي أحداً من باقي الأمم من الهلاك, أو يُخرجه من حفرةٍ وقع فيها, لأنه بذلك يكون قد حَفِظَ أحد الوثنيين". بهذا النص –المقدَّس عندهم– يُصبحُ من الضروري على كل يهوديٍّ غيور على دينه ألا يتعاطف أبداً مع غير اليهود، بل عليه قتلهم، لأنهم في نظرهم مجرد وثنيين تجب إبادتهم.[١] إنها عنصرية مقيتة وتعصب أعمى.

(١) د. يس مزقول إسماعيل أنداسو: العُنصريَّة في المعتقد اليهودي، ص٣.

المبحث الرابع

الزعم بملكية اليهود لأراضي غيرهم

من مظاهر العنصرية اليهودية في التعاليم الدينية، والتي ينعكس أثرها على الواقع المعيش الآن، الزعم بملكية اليهود لأراضي غيرهم، استناداً إلى التعاليم التوراتية، والأوامر والوعود التي وعدهم بها ربهم. فإن "إسرائيل اليوم تربط كيانها السياسي بالدين، وتجعل من الدين أساساً لوجودها، وحجة لاغتصاب الأرض وتملكها. والدين اليهودي في نظر المفكرين اليهود والصهاينة هو الأساس الذي تقوم عليه الأيديولوجية اليهودية".[١] فقد ورد في سفر التكوين، وبمقتضى هذه العنصرية البغيضة، أن الرب قطع عهدا لإبراهيم –عليه السلام– وامتد لنسله من بعده، بتملك أرضاً ليست له، كل أرض كنعان ملكاً أبدياً له ولنسله، قائلاً:

״ וַהֲקִמֹתִי אֶת-בְּרִיתִי בֵּינִי וּבֵינֶךָ, וּבֵין זַרְעֲךָ אַחֲרֶיךָ לְדֹרֹתָם-- לִבְרִית עוֹלָם: לִהְיוֹת לְךָ לֵאלֹהִים, וּלְזַרְעֲךָ אַחֲרֶיךָ. וְנָתַתִּי לְךָ וּלְזַרְעֲךָ אַחֲרֶיךָ אֵת אֶרֶץ מְגֻרֶיךָ, אֵת כָּל-אֶרֶץ כְּנַעַן, לַאֲחֻזַּת, עוֹלָם; וְהָיִיתִי לָהֶם, לֵאלֹהִים״.[٢]

الترجمة: "وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلهَهُمْ".

ثم ورد في سفر التثنية ما يؤكد هذا العهد العنصري، وكيف أن الرب يذل شعوباً ويهلكهم أمام شعبه المختار، ليس لأنهم هم الأفضل فعلاً، أو أن غيرهم أسوأ منهم، بل وفاءً بهذا العهد العنصري الذي قطعه الرب لأسلافهم. وتأكيدًا على أن ما يتمتع به الشعب من بركات ليس هو ثمرة برّهم، إنما هو هبة من الله، الذي قطع لهم عهداً، فملّكهم على شعوب عظيمة، ووهبهم أرضهم ومدنهم، بعد أن طردهم من أجلهم، تقول التوراة:

(١) ينظر: علي خليل: اليهودية بين النظرية والتطبيق، ، ص٨٣. (بتصرف بسيط)

(٢) سفر التكوين ١٧: ٧–٨.

״ שְׁמַע יִשְׂרָאֵל, אַתָּה עֹבֵר הַיּוֹם אֶת-הַיַּרְדֵּן, לָבֹא לָרֶשֶׁת גּוֹיִם, גְּדֹלִים וַעֲצֻמִים מִמְּךָ עָרִים גְּדֹלֹת וּבְצֻרֹת, בַּשָּׁמָיִם (...) הוּא יַשְׁמִידֵם וְהוּא יַכְנִיעֵם, לְפָנֶיךָ; וְהוֹרַשְׁתָּם וְהַאֲבַדְתָּם מַהֵר, כַּאֲשֶׁר דִּבֶּר יְהוָה לָךְ. אַל-תֹּאמַר בִּלְבָבְךָ, בַּהֲדֹף יְהוָה אֱלֹהֶיךָ אֹתָם מִלְּפָנֶיךָ לֵאמֹר, בְּצִדְקָתִי הֱבִיאַנִי יְהוָה, לָרֶשֶׁת אֶת-הָאָרֶץ הַזֹּאת: וּבְרִשְׁעַת הַגּוֹיִם הָאֵלֶּה, יְהוָה מוֹרִישָׁם מִפָּנֶיךָ. לֹא בְצִדְקָתְךָ, וּבְיֹשֶׁר לְבָבְךָ, אַתָּה בָא, לָרֶשֶׁת אֶת-אַרְצָם: כִּי בְּרִשְׁעַת הַגּוֹיִם הָאֵלֶּה, יְהוָה אֱלֹהֶיךָ מוֹרִישָׁם מִפָּנֶיךָ, וּלְמַעַן הָקִים אֶת-הַדָּבָר אֲשֶׁר נִשְׁבַּע יְהוָה לַאֲבֹתֶיךָ, לְאַבְרָהָם לְיִצְחָק וּלְיַעֲקֹב. וְיָדַעְתָּ, כִּי לֹא בְצִדְקָתְךָ יְהוָה אֱלֹהֶיךָ נֹתֵן לְךָ אֶת-הָאָרֶץ הַטּוֹבָה הַזֹּאת--לְרִשְׁתָּהּ: כִּי עַם-קְשֵׁה-עֹרֶף, אָתָּה״.(١)

الترجمة: "اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ، أَنْتَ الْيَوْمَ عَابِرٌ الأُرْدُنَّ لِكَيْ تَدْخُلَ وَتَمْتَلِكَ شُعُوبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، وَمُدُنًا عَظِيمَةً وَمُحَصَّنَةً إِلَى السَّمَاءِ. (...) هُوَ يُبِيدُهُمْ وَيُذِلُّهُمْ أَمَامَكَ، فَتَطْرُدُهُمْ وَتُهْلِكُهُمْ سَرِيعًا كَمَا كَلَّمَكَ الرَّبُّ. لاَ تَقُلْ فِي قَلْبِكَ حِينَ يَنْفِيهِمِ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ أَمَامِكَ قَائِلًا: لأَجْلِ بِرِّي أَدْخَلَنِي الرَّبُّ لأَمْتَلِكَ هذِهِ الأَرْضَ. وَلأَجْلِ إِثْمِ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ يَطْرُدُهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِكَ. لَيْسَ لأَجْلِ بِرِّكَ وَعَدَالَةِ قَلْبِكَ تَدْخُلُ لِتَمْتَلِكَ أَرْضَهُمْ، بَلْ لأَجْلِ إِثْمِ أُولئِكَ الشُّعُوبِ يَطْرُدُهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ أَمَامِكَ، وَلِكَيْ يَفِيَ بِالْكَلاَمِ الَّذِي أَقْسَمَ الرَّبُّ عَلَيْهِ لآبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ لأَجْلِ بِرِّكَ يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ هذِهِ الأَرْضَ الْجَيِّدَةَ لِتَمْتَلِكَهَا، لأَنَّكَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ".

وفي ضوء التأكيد على أن العنصريّة "اعتقادٌ يقوم على فكرةٍ أساسية مؤدّاها أنّ مجموعة محدّدةً من البشر يتمسّكون بكونهم – من الناحية الطبيعيَّة– أسمى وأرقى مكانة وعِرقاً من غيرهم من بقيَّةِ البشر، ولوجود أوضاع وسمات وصفات محدَّدة ، يعتقدون أنّها هي المعيار لتَميُّزهم من غيرهم، وعادةً ما يتم توظيف السمات المميّزة للجماعة المعنيَّة بالاختيار، إمّا على أساسٍ يتعلَّق بالتكوين الجسمي أو العقلي، أو على أساسٍ حَضَريّ

(١) سفر التثنية ٩: ١–٦.

خالص يتعلّق بإبراز السمات الثقافية التي تميز الجماعة المختارة".[١] والذي تعكسه بوضوح النصوص التوراتية السابقة واللاحقة، لهذا يمكن القول إن العنصرية اليهودية "اعتقاد يقيني بأن الله اختار شعباً وجعله مقدساً، وفضله على جميع شعوب العالم، وقطع له عهداً أبدياً مطلقاً غير مشروط بأن يمنحه ما يشاء، يخرب ويملك ويسكن".[٢]

وفي سفر المزامير، يتحدث كاتب السفر عن كيف وهب الله شعبه البهجة والسرور، عند خروجهم، فامتلأتْ أعماقهم بالفرح، وأعطاهم أراضي الأمم الأخرى، وأورثهم إياها دون تعب، فجاء فيه:

״ כִּי-זָכַר, אֶת-דְּבַר קָדְשׁוֹ; אֶת-אַבְרָהָם עַבְדּוֹ. וַיּוֹצֵא עַמּוֹ בְשָׂשׂוֹן; בְּרִנָּה, אֶת-בְּחִירָיו. וַיִּתֵּן לָהֶם, אַרְצוֹת גּוֹיִם; וַעֲמַל לְאֻמִּים יִירָשׁוּ. בַּעֲבוּר, יִשְׁמְרוּ חֻקָּיו- וְתוֹרֹתָיו יִנְצֹרוּ״. [٣]

الترجمة: "لأَنَّهُ ذَكَرَ كَلِمَةَ قُدْسِهِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدِهِ، فَأَخْرَجَ شَعْبَهُ بِابْتِهَاجٍ، وَمُخْتَارِيهِ بِتَرَنُّمٍ. وَأَعْطَاهُمْ أَرَاضِيَ الأُمَمِ، وَتَعَبَ الشُّعُوبِ وَرِثُوهُ، لِكَيْ يَحْفَظُوا فَرَائِضَهُ وَيُطِيعُوا شَرَائِعَهُ".

ويستند اليهود إلى مثل هذه الفقرات، على ملكيتهم لأراضي غيرهم، بعد طرد الأغيار من أراضيهم، وفقدهم تعب أياديهم ليرثه اليهود..! فأي عنصرية تلك، التي تستحل أرض الغير، وممتلكاته، دون وجه حق، بزعم أنه أمر إلهي، وأن هذه تعاليم إلهية بأحقيتهم وملكيتهم لما ليس لهم، وأن عليهم تنفيذها، فجاء في تفسير هذه الفقرة: "إنها من الأسس التي من أجلها جاء إعطاء الأرض لليهود، وأحقية إسرائيل في تملك الأرض كلها، بما فيها أرض كنعان، وكذلك أعطيت الأرض لإسرائيل لحفظ الشريعة. وقد وردت هذه التعاليم عدة مرات في سفر التثنية، محذرين على إقامة الشريعة، وحفظها، لكي يرثوا هذه الأرض ويسكنوا فيها، ويكونوا فيها شعبًا، والهدف من كونهم شعبًا هو حفظ الشريعة..

(١) د. يس مزقول إسماعيل أنداسو ، ص١، (بتصرف بسيط).

(٢) إسحاق موسى الحسيني، ص٣.

(٣) سفر المزامير: ١٠٥: ٤٢- ٤٥.

فإعطاؤهم أراضي الأغيار وأعمال أيديهم ميراثًا لهم، لكي يحفظوا شريعته، وينفذوا تعاليمه".[١] وعلى الرغم من عدم تنفيذهم وصاياه، التي أوصاهم بها، إلاّ أنه يتعامل معهم على أنهم أطهر وأفضل من باقي الشعوب، التي وصفها بالنجاسة، وأنه قد منحهم أرضهم ملكًا لهم:

״ וְעַתָּה מַה-נֹּאמַר אֱלֹהֵינוּ, אַחֲרֵי-זֹאת: כִּי עָזַבְנוּ, מִצְוֹתֶיךָ . אֲשֶׁר צִוִּיתָ, בְּיַד עֲבָדֶיךָ הַנְּבִיאִים לֵאמֹר - הָאָרֶץ אֲשֶׁר אַתֶּם בָּאִים לְרִשְׁתָּהּ, אֶרֶץ נִדָּה הִיא בְּנִדַּת עַמֵּי הָאֲרָצוֹת: בְּתוֹעֲבֹתֵיהֶם, אֲשֶׁר מִלְאוּהָ מִפֶּה אֶל- פֶּה בְּטֻמְאָתָם״.[٢]

الترجمة: "وَالآنَ، فَمَاذَا نَقُولُ يَا إِلهَنَا بَعْدَ هذَا؟ لأَنَّنَا قَدْ تَرَكْنَا وَصَايَاكَ، الَّتِي أَوْصَيْتَ بِهَا عَنْ يَدِ عَبِيدِكَ الأَنْبِيَاءِ قَائِلًا: إِنَّ الأَرْضَ الَّتِي تَدْخُلُونَ لِتَمْتَلِكُوهَا هِيَ أَرْضٌ مُتَنَجِّسَةٌ بِنَجَاسَةِ شُعُوبِ الأَرَاضِي، بِرَجَاسَاتِهِمِ الَّتِي مَلأُوهَا بِهَا مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ بِنَجَاسَتِهِمْ".

مما سبق يتضح أثر العنصرية في التعاليم الدينية اليهودية. وانعكاس ذلك على الممارسات الإسرائيلية اليوم، متمثلة في اغتصاب الأراضي العربية، دون وجه حق، استناداً إلى هذه النصوص العنصرية الداعمة لهذه الممارسات بزعم ملكيتهم لها بأمر الرب.

(١) תורה ודעת (א –לז)، תשס״ה - תשס״ז ، בתוספת מפתחות، נערך ויצא לאור על ידי מכון ״קהל עדת ירושלים״ תשס״ז. עמ' 67.

(٢) عزرا: ٩: ١٠– ١١.

الخاتمة:

الحمد لله اولاً وآخراً وله الحمد دائماً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.. وبعد ،،

فقد تناولت هذه الدراسة "العنصرية في التعاليم الدينية اليهودية (دراسة تأصيلية)"، وخلصت إلى العديد من النتائج ، أهمها:

- مصطلح "العنصرية" من المصطلحات الحديثة التي لم يرد لها ذكر –بهذه الصيغة– في أغلب المعاجم، واختلف الباحثون في تعريف العنصريّة، تكمن في أن العنصرية هي اعتقاد البعض بأنهم أفضل من سواهم، مما يبرر لهم الاستعلاء على الآخرين، واحتقارهم، والتجاوز في حقهم وربما القضاء عليهم.
- العنصرية اليهودية؛ عقيدة تستند إلى فلسفة مناقضة للدين والعلم، حول أفضلية العنصر اليهودي على من عداه من العناصر البشرية الأخرى. وهي مستوحاة من الدين اليهودي، وتستند إلى النصوص المقدسة في التوراة والتلمود، لذا يعد الدين اليهودي هو عصب العنصرية اليهودية.
- تستند العنصرية اليهودية إلى مصدرين أساسيين، يستقي منهما اليهود كل المبادئ والتعاليم الدينية العنصرية، هما: العهد القديم، والتلمود.
- للعنصرية اليهودية عدة سمات، أهمها: استغلال الدين، تزييف التاريخ وتحريفه.
- أكدت الدراسة على أن للعنصرية في التعاليم الدينية اليهودية عدة مظاهر، أهمها: الزعم بأن اليهود هم شعب الله المختار.
- تنص اليهودية على أن اليهود يشكلون عنصراً مميزاً على سائر العناصر البشرية، وشعباً متميزاً على كافة الشعوب بخصائصه وتفرده.
- تركز التعاليم اليهودية بقوة على العنصرية، عبر تأكيدها الاختيار والقداسة والتفوق وعدم الاختلاط بالشعوب والأمم الأخرى.

- تربط إسرائيل اليوم كيانها السياسي بالدين، وتجعل من الدين أساساً لوجودها، وحجة لاغتصاب الأرض وتملكها.. بزعم أنه أمر إلهي، وأن هذه تعاليم إلهية بأحقيتهم وملكيتهم لما ليس لهم.
- يعد الدين اليهودي في نظر المفكرين اليهود والصهاينة هو الأساس الذي تقوم عليه الأيديولوجية اليهودية.
- قضية اختيار الله لشعبه من الموضوعات الأساسية في العديد من أسفار العهد القديم.
- أكدت الدراسة أن العنصرية اليهودية اعتقاد يقيني بأن الله اختار شعباً وجعله مقدساً، وفضله على جميع شعوب العالم، وقطع له عهداً أبدياً مطلقاً غير مشروط بأن يمنحه ما يشاء. رغم ما ورد بالعهد القديم من أن ما يتمتع به الشعب من بركات ليس هو ثمرة برّهم الذاتي، إنما هو هبة مجانية من الله الذي قطع لهم عهداً؛ ليسكب فيض بركاته، لا لأجل برهمّ ، بل من أجل أمانة الله في وعوده.
- المظهر الثاني من مظاهر العنصرية اليهودية؛ العزلة وعدم الاندماج مع غير اليهود، فقد كانت التعاليم الدينية اليهودية دوماً وراء عزلة اليهود؛ لأنّها تحضُّ على الاستعلاء والتوجّس من الأغيار، وعدم الاختلاط بالشعوب.
- يستند اليهود عموماً إلى الدين في كل ما يتعلق بأمورهم واتجاهاتهم السياسية والاجتماعية، ويعتبرون نصوص الدين أساساً لكل عمل لهم في الأرض، وهم يعلنون دائماً أن اليهود يشكلون كيانا دينياً قومياً عرقياً، غير قابل للاندماج أو الانصهار في الشعوب الأخرى.
- تتجلى العنصرية اليهودية في التوراة في صورة أخرى، ألا وهي الأمر بعدم اختلاط اليهود بالأغيار، عن طريق عدم مصاهرة غير اليهود.
- تتكرر تعاليم التوراة التي تحذر اليهود بعدم تزويج بناتهم لأبناء غير اليهود، وكذلك عدم زواج أبناء اليهود من بنات غيرهم، وذلك في مواضع عديدة، كما تأمرهم التوراة بالعزلة عنهم، فتحرّم على اليهودي إعطاء بناته لغريب، وكذا عدم أخذ بنات الغريب لبنيه.

- تحرم المشنا التعامل مع غير اليهود والاختلاط بهم، وشددت التوراة في المبالغة بعدم الاختلاط بغير اليهود، وتحريمهم، وعدم الشفقة معهم، وتحذير اليهودي ألا يحنو على غير اليهودي.
- أوضحت الدراسة أنّ الغدر والخيانة والانحلال الخلقي، من الثوابت التي سار عليها أسلاف اليهود اليوم، وهي ثوابت جوهرية في الفكر الديني اليهودي. الذي يقوم على التوّجس من الأغيار والاستعلاء والعدوان والعنصرية.
- يعد العنف والإرهاب في التعاليم الدينية اليهودية – وفقاً لنصوص العهد القديم– مظهراً من مظاهر العنصرية اليهودية، نتيجة لتمييز اليهود أنفسهم عن غيرهم، واعتقادهم بأنهم شعب الله المختار.
- المتصفح لنصوص التوراة يجد كثيراً من أعمال العنف والعدوان، ضد غير اليهود، بدعوى أنها أوامر إلهية، تصورها التوراة على أنها بطولات قام بها أسلافهم التزاماً بأوامر الرّب يهوه، وتتجلى فيها الروح العدوانية في السلوك والأفكار.
- النصوص التي تحض على العنف والإرهاب في التوراة كثيرة جداً، وكذلك التعبيرات الدالة على سفك الدماء، والإبادة، وقتل الأبرياء، والأطفال، والنساء.
- يتكرر كثيرا –في تعاليم التوراة– الأمر بالإبادة الشاملة، والقضاء على الرجال والنساء والأطفال والشيوخ، حتى البقر والغنم والحمير.. في صورة بربرية وحشية، بدعوى أن الله يأمر بذبح الأطفال والنساء، بل والشيوخ، وحرق المدن والديار، وقتل الحيوانات، ويتكرر الأمر بـ "الضرب بحد السيف" عدة مرات، والأمر بالقضاء على مدن بكاملها، وعدم الإبقاء على أي أحد من الأغيار.
- يستند اليهود في اغتصابهم الأراضي العربية على نصوص التوراة التي تزعم أحقيتهم فيها وتملكهم لها بأمر من الرب.
- كل هذا وغيره يعكس العنصرية في التعاليم الدينية اليهودية ويؤصل لها، وهو ما أكدته الدراسة بالأدلة والشواهد والأمثلة.

والله تعالى ولي التوفيق.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

(أ) المصـادر:

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس، أي: كتب العهد القديم والعهد الجديد، طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

(ب) المراجـع:

- إسماعيل، عباس: عنصرية إسرائيل فلسطينو ٤٨ نموذجاً، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م- ١٤٢٩هـ.
- أنداسو، د. يس مزقول إسماعيل: العُنصريَّة في المعتقد اليهودي, ماضٍ كئيب.. ومُستقبل مُظلم، مجلة البحث العلمي للعلوم والآداب، جامعة الدلنج كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، المجلد ١٠، العدد ١٥، السودان، ديسمبر ٢٠١٤م.
- الباش، حسن: العنصرية الصهيونية: الأنا والآخر والأسس العقيدية، مجلة المسار، اتحاد الكتاب التونسيين، العدد ٥٣، أكتوبر ٢٠٠١م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي: التعريفات، تحقيق : إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ.
- حسين، د. عماد علي عبد السميع: الإسلام واليهودية، دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م- ١٤٢٥هـ.
- الحسيني، إسحاق موسى: العنصرية أساس قيام إسرائيل، مجلة البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – معهد البحوث والدراسات العربية، العدد ٣، مارس ١٩٧٢م.
- خليل، علي: اليهودية بين النظرية والتطبيق، مقتطفات من التلمود والتوراة، اتحاد الكتاب العربي، ١٩٩٧م.

- الزغيبي، أحمد بن عبد الله بن إبراهيم(د): العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى،الرياض ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- سعيد، د. عبدالستار فتح الله: معركة الوجود بين القرآن والتلمود، دراسة علمية قرآنية: تكشف أسراراً جديدة من إعجاز القرآن العظيم، وتبرز دوره المتفرد في المعركة العالمية بين الإسلام واليهودية!! الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- شاحاك، اسرائيل: التاريخ اليهودي: الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، ترجمة صالح علي سوداح، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٥م.
- شلبي، د. أحمد: مقارنة الأديان، (١) اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٨٨م.
- شيحة، د. ميشيل: جذور الفكر الصهيوني وسياسة التمييز العنصري في إسرائيل، مجلة جامعة دمشق – المجلد ١٩ – العدد الثاني- ٢٠٠٣م.
- ظاظا، حسن ظاظا (د): الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧١م.
- عاشور، السيد محمد : التفرقة العنصرية، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- عبدالسلام، أحمد لطفي: جذور العنف والعنصرية في الفكر الديني اليهودي وامتداده إلى الدولة الإسرائيلية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م-١٤٢٢هـ.
- عجيبة، د. أحمد علي: موسوعة العقيدة والأديان، دراسات في الأديان الوثنية القديمة، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد : كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار الهلال، (بدون تاريخ).
- كاظم، نصير كريم: العنصرية اليهودية: قراءة تحليلية في الأسس الفكرية، مجلة الأطروحة – الدراسات الدينية وعلوم القرآن، دار الأطروحة للنشر العلمي، المجلد الثالث، العدد السادس، تشرين الأول ١٤٣٩هـ- ٢٠٠١٨م.

- منصور، د. مصطفى سيد عبد المعبود: ترجمة متن التلمود (المشنا)، القسم الرابع: نزيقين– الأضرار، تقديم: أ. د. محمد خليفة حسن، المبحث الثامن: مبحث عفوداه زاراه –العبادة الوثنية– الطبعة الأولى، مكتبة النافذة، الجيزة، ٢٠٠٧م.

(ت) المعاجم والموسوعات:

- ابن زكريا، أبو الحسين أحمد ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين الأنصاري: لسان العرب، طبعة دار المعارف، القاهرة، (بدون تاريخ).
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
- الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (بدون تاريخ).
- مصطفى، إبراهيم، وآخرون؛ (أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار): المعجم الوسيط، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (بدون تاريخ).

ثانياً: المصادر والمرجع العبرية:

(أ) المصادر:

- התנ״ך, תורה נביאים וכתובים והברית החדשה, המהדורה השלישית , החברה לכתבי הקודש, ירושלים, 1991.
- ששה סדרי משנה, סדר נזיקין, מסכת עבודה זרה.

(ب) المراجع:

- אזרחי, ברוך מרדכי: ברכת מרדכי השלם - מוסר - בראשית - כל המאמרים שהופיעו במהדורות הקודמות בתוספת מאמרים חדשים- בהוצאת מכון ״יד מאיר״. ירושלם- התשס״ו.
- אלעזר, חיים ב״ר דוד אריה הכהן קליין: ערך שוע. ליקוטים וציונים. הערות וביאורים דברי התבוננות ועומק על תפילת שמונה עשרה. יוצא לאור בהודאה להשי״ת תש״פ- ירושלים.

- אלשבזי, שלום בן יוסף: חמדת ימים, מדרש על חמשה חומשי תורה- בית ספריית מורגנשטרן- ירושלים, בשנת התשט״ז .
- גולדוסר, יצחק פינחס בן יהודה ספר מי זהב – הערות וביאורים, רעיונות וחידושים על סדר פרשיות תורה שבכתב, תשס״ה בני-ברק.
- הלברשטם, בנציון אריה ליבוש בן שלמה: קובץ אמרי קודש (באבוב) - ירח האיתנים - חג הסוכות- בהוצאת ״עמודי ציון״ ד׳באבוב, ברוקלין, ניו יארק.
- מתי אלפר: פרשת שבוע כלכלית: לך לך, עתון ידיעות אחרונות פורסם: 04.11.11 , 16:22
- ספר קרובות הוא מחזור ליום כפור – לבני אשכנז והנוהגים מנהגם - רעד להיים שנת תקצ״ב.
- קארף, משה מרדכי: ספר ויבינו במקרא - ויקרא- נדפס בארץ ישראל, קרית ספר, ירושלים תש״ע.
- קרקובסקי, מנחם מוילנה: ספר ארזי הלבנון - קבץ דרשות– יצא לאור ע״י אלמנת הגאון המחבר, הרבנית בדנה בת הגאון, רבן של ישראל רבני א ליהו הלוי פיינשטיין זצ״ל, וילנה שנת תרצ״ו.
- שיינערמאן, משה יוסף: ספר אהל משה על התורה - ספר ויקרא – ברוקלין ניו יארק, תש״ע .
- תורה ודעת (א –לז)، תשס״ה - תשס״ז ، בתוספת מפתחות، נערך ויצא לאור על ידי מכון ״קהל עדת ירושלים״ תשס״ז.

(ت) المعاجم والموسوعات:

- אבן שושן, אברהם: המלון החדש, בשבעה כרכים, הוצאת קרית-ספר, ירושלים, 1983.
- ————————: קונקורדנציה חדשה، לתורה נביאים וכתובים، אוצר לשון המקרא- עברית וארמית שרשים، מלים שמות פרטיים. צרופים ורדפים. הוצאת״ קרית-ספר, ירושלים .1987.
- האנציקלופדיה העברית, כללית, יהודית וארצישראלית, חברה להוצאת אנציקלופדיות בע״מ, ירושלים - תשי״ד - תל- אביב.
- שגיב, דוד: מילון עברי– ערבי לשפה העברית בת זמננו, כרך ראשון, מהדורה שלישית, הוצאת שוקן ירושלים ותל–אביב, נדפס בישראל, תשנ״א.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

- Dennis, R. M.: "Racism". In Kuper, A.; Kuper, J. (eds.). The Social Science Encyclopedia, Volume 2 (3rd ed.). London; New York: Routledge. ISBN 978-1-134-35969-1. (2004).
- Ghani, Navid: "Racism". In Schaefer, Richard T. (ed.). Encyclopedia of Race, Ethnicity, and Society, (2008).
- Newman, D. M. Sociology: exploring the architecture of everyday life (9th ed.). Los Angeles: Sage. (2012).
- Fredrickson, George M. Racism: A Short History. Princeton, NJ: Princeton University Press. (2002).

رابعاً: مواقع الانترنت

- https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/05-Sefr-El-Tathneya/Tafseer-Sefr-El-Tathnia__01-Chapter-20.html#1
- https://st-takla.org/bible/commentary/ar/ot/church-encyclopedia/jeremiah/chapter-48.html#10
- https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4143295,00.html
- https://st-takla.org/bible/commentary/ar/ot/church-encyclopedia/joshua/chapter-23.html#1
- https://www.alukah.net/culture/0/78070/